المأساة

(كوفيد ١٩)

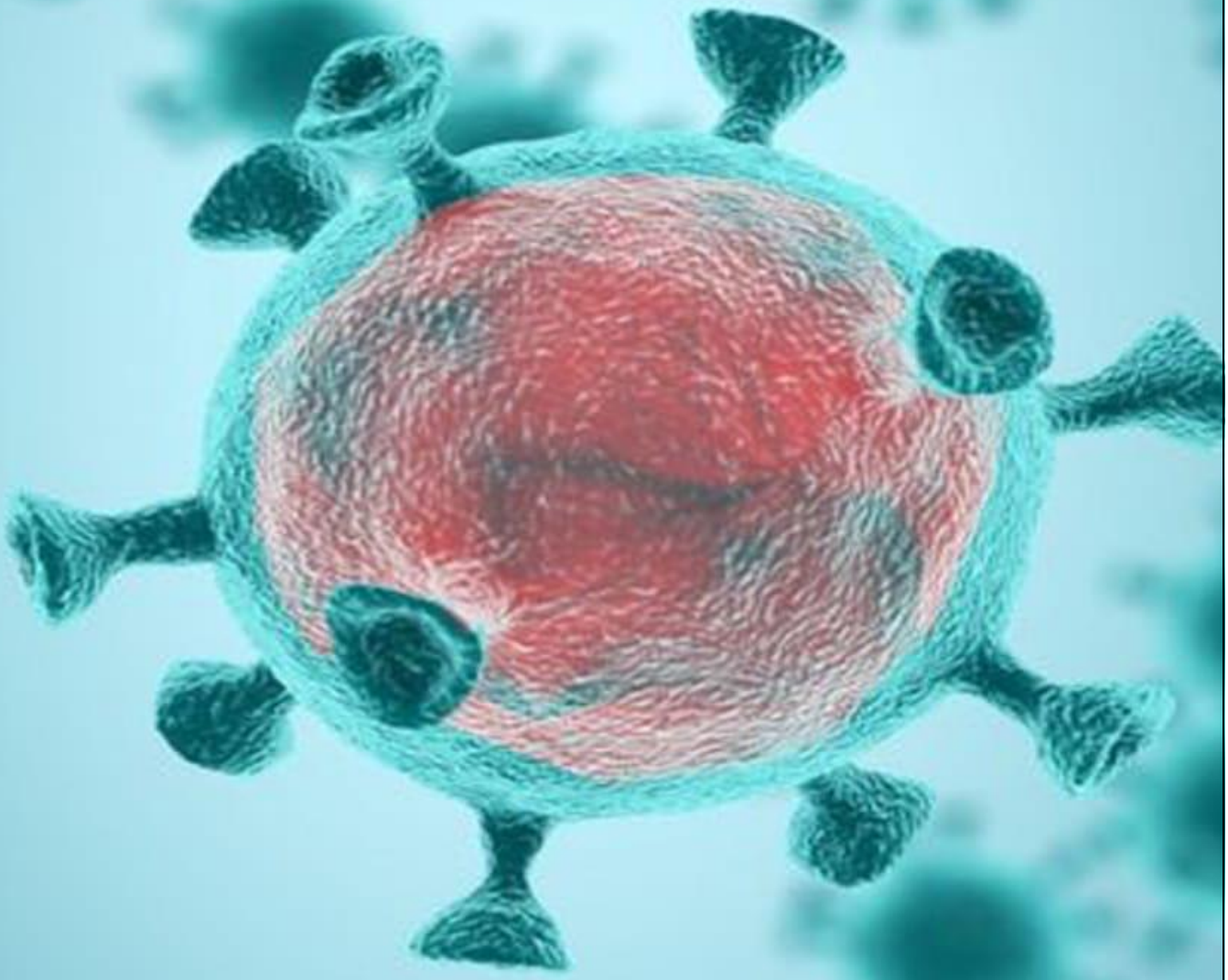

للكاتب :

أ / مايكل يوسف سلوانس

بيانات الكتاب

اسم الرواية :

المأساة (كوفيد ١٩)

اسم الكاتب :

أ. مايكل يوسف سلوانس

مراجعة لغوية :

د. أحمد السيد عمار

تصميم الغلاف :

أ. نورهان عصام همام

مقدم لإثبات التاريخ
مايكل يوسف سلوانس يوسف

٤٥

اسم الرواية : المأساة (كوفيد ١٩)

اسم الكاتب : مايكل يوسف سلوانس يوسف

الرقم القومي : ٢٨٨٠٩٠٨٠٣٠٠٢٧١

*** ملخص الأحداث :**

أكتشف الطبيب الصينى (لى وينلانج) فيرس خطيراً من الممكن أن يدمر البشرية ، حيث أطلق عليه اسم (كرونا) . إلا أن السلطات الصينية لم تعترف بذلك ، بل هددته وأخذت عليه تعهداً بعدم الإفصاح عن هذا الموضوع مرة أخرى .

مات الطبيب (وينلانج) وهو يعالج أحد المصابين بالفيرس ، وبعدها انتقلت العدوى إلى العديد من الدول الأخرى ، ثم جاءت إلى جمهورية مصر العربية ، ومنها انتقلت لجميع محافظاتها التى كانت من بينها بورسعيد ، حيث أصيب أحد الشباب المدعو رامى بهذا الفيرس الخطير ، وساءت صحته جدًا وضعفت قواه ، ولم يجد مستشفى تستقبله لتلقى العلاج بها ، فالمستشفيات كانت مزدحمة جدًا بالكثير من المصابين ، فالوباء كان عالميًا مثلما وصفته منظمة الصحة العالمية ، وأخيراً بعد معاناة شديدة ، وجد إحدى المستشفيات ، إلا أنه قد عومل معاملة قاسية جدًا ، من قبل بعض أفراد الطاقم الطبى الموجود بها .

هناك تعرف رامى على بعض المصابيين مثله بالوباء ، فأحبهم وأحبوه وتعلم الكثير منهم . ظل ماكثاً بالمستشفى لحوالى أسبوع ، ثم خرج منها إلى بيته ، حيث بدأ فترة العزل المنزلى التى استمرت حوالى أسبوعين .

فى تلك الفترة كتب روايته الواقعية هذه ، حتى تكون درساً وعبرة لكل إنسان ، حيث تأمل رامى فى حكمة الخالق سبحانه وتعالى من المرض وهذا الوباء .....

نجا رامى من الموت بفضل الله ، ولكنه أصيب بالتهاب رئوى حاد نتيجة لهذا الفيرس ، استمر المرض معه لأكثر من عام ، إلى أن تدخلت العناية الإلهية وشفى منه . وفى النهاية يدعو رامى أن يحفظ بلده مصر والعالم كله من هذا الوباء .

مايكل يوسف سلوانس يوسف

*** تنويه :**

أحداث هذه الرواية حقيقية وواقعية جدًّا ، مع اختلاف بعض الأسماء فقط ، حيث حدثت فى غضون يناير عام (٢٠٢١م)، فهى تجسد معاناة الكاتب من المرض ، وإصابته بالوباء العالمى فيرس (كوفيد ١٩) الشهير باسم كرونا المستجد .

يصف الكاتب بكل تفاصيل ودقة ، ما تعرض له من مواقف وتجارب حدثت له بعد الإصابة بالفيرس ، خصوصاً أنه أصيب فى بدايات هذا الوباء ، فلم يكن اللقاح قد اكتشف بعد ، ولم تكن هناك دراسات متوفرة عن طبيعة هذا الفيرس ، حيث كانت البشرية تجهل تماماً تفاصيل عنه لأكثر من عام منذ تاريخ ظهوره ، فالدراسات الطبية كانت نادرة ، والمعلومات والبيانات الأساسية عن الفيرس كانت محدودة للغاية .

" الفصل الأول "

" سيكون لفيرس كرونا تأثير عميق واضح فى هذا العالم ، فالحياة ستنقسم إلى ما قبل كوفيد وما بعده "

*** اكتشاف الفيرس :**

خرج الدكتور (لى وينلانج) d.r .liwwnliang من منزله فى الصباح كعادته متوجهاً إلى مستشفى مدينة (ووهان) بالصين ، حيث كان يعمل أخصائى عيون . كان الدكتور (وينلانج) يتمتع بابتسامة مشرقة تحدث تأثيراً فعالاً فى كل من رآه وخصوصاً مرضاه ، الذين كان يعطى لهم تفاؤلاً وأملاً فى هذه الحياة .

دكتور(وينلانج) كان متوسط القامة والبنية ذا بشرة بيضاء ، وعينين ضيقتين شأنه شأن أى صينى آخر ، وكان يرتدى نظارة طبية ، فرغم أنه طبيب العيون إلا أنه كان يرفض دائما أن يعمل تصحيح نظر لبصره . معللاً ذلك بقوله : أحب الطبيعة وأود أن أعيش على طبيعتى .

فى أوائل ديسمبر لعام ٢٠١٩م بينما كان يمارس عمله فى المستشفى ، جاءت سيارة إسعاف حاملة فى ذلك سبعة أشخاص كانوا يعملون فى إحدى المدارس التعليمية جميعهم كانوا يعانون من أعراض تشبه الإنفلونزا مع وجود حمى وضيق فى التنفس وسعال مستمر .

لم ير الدكتور قط فى حياته أعراضاً كهذه ، فبدأ يشك فى طبيعة هذا المرض العجيب ترى ما هو ؟!

بدأ الفضول والخوف والقلق ينتابونه ، ولكى يقطع الشك باليقين أخذ عينات من هؤلاء الأشخاص ، وتم فحصها بواسطة المجهر ، وهنا لاحظ أمراً عجيباً وهو أن هذا الشىء لا يشبه الفيروسات العادية المتعارف عليها كفيروس الإنفلونزا ، وإنما مختلف عنه تماماً ، وبعد البحث وجد أن نواة هذا الشىء قد تشبه فيرس يسمى (سارس) الذى انتشر عالمياً فى عام ٢٠١٣م ، إلا أن هذه النواة محاطة بأشياء تشبه التيجان أى الكيراون ، هكذا رآها الدكتور تحت المجهر ، ومن هنا أطلق على هذا الشىء اسم كورونا نسبة إلى الكيراون أى التيجان .

عندما توصل لهذه الحقيقة علم أن بداية الوباء قد حلت بالبشر من جديد ، بدأ يخبر زملاءه الأطباء بضرورة اتخاذ الإجراءات الإحترازية ، وأن عليهم استخدام الأقنعة والقفازات لحماية أنفسهم ، لأن الفيرس خطير جداً ومعدى ، حيث يشبه فيرس (سارس) .

قال الدكتور (لى وينلانج) فى أحد تصريحاته : إننى فى رحلة مع هذا الفيروس المجهول ، وحقاً إن انتشاره فى الصين فاجأنى كثيراً ، وعدد الذين اصابتهم العدوى فى فترة قصيرة نسبيًاً أمر غير معتاد بالمرة . إن هذا الفيروس أكثر فتكاً وعنفاً ببنى البشر . فهو سريع الانتشار جدًا بينهم ، يبدو أنه لا يهاجم الرئتين فقط ، وإنما القلب والكبد وأعضاء أخرى أيضاً .

هكذا قال الدكتور (وينلانج) لزملائه الأطباء لتوعيتهم ضد الوباء ، وفى الثلاثين من ديسمبر نشر هذه الحقيقة عبر تطبيق الكترونى ، حيث حذر الشعب الصينى من انتشار هذا الفيروس المميت .

كما طالب سكان مدينة (ووهان) الصينية : ضرورة توخى الحذر واتخاذ الإحتياطات الوقائية .

بعد مرور حوالى ثلاثة أيام ، وبينما هو منهمك فى عمله لعلاج المرضى ، جاءه أحد مسئولين بالمستشفى برفقة عدد من رجال الشرطة الصينيين وبدأ الحوار :

مدير المستشفى : مرحباً دكتور (لى)

الدكتور : مرحباً

مدير المستشفى بتلعثم : إن الشرطة تريد التحقيق معك

الدكتور باندهاش : لماذا ؟

أحد رجال الشرطة يبدو أنه لواء ، ينظر إلى مدير المستشفى ويقول له : حسناً سيادة الدكتور يمكنك الانصراف الآن ، وأنا سأتولى التحقيق معه بنفسى .

ينظر المدير إلى دكتور (لى) فى حيرة ثم يتركه ويمضى .

اللواء : حسناً لقد أخبرنا زملاؤك الأطباء بأنك تحذرهم من وجود فيرس خطير يسمى بكرونا . هل هذا صحيح ؟

الدكتور : نعم هذا صحيح

اللواء : منذ حوالى ثلاثة أيام قمت بنشر هذا الادعاء على أحد مواقع التواصل الاجتماعى تطالب سكان مدينة (ووهان) بنفس الكلام ، هل أنت بالفعل الذى نشر هذا الكلام ؟

الدكتور فى تعجب : نعم لأننى أخاف على زملائى الأطباء وعلى شعبى أيضاً لأننى واحد منه ، أخشى عليهم من الوباء القاتل .

اللواء بانفعال : نحن نحذرك رسميًا ، إذا لم تكف عن ترويج هذه الأشاعات وتلك الأقوال الخبيثة التى ليس لها أى مدلول أو أساس من الصحة ، فسوف نحاكمك بتهمة إحداث الفوضى والإرهاب فى البلد .

الدكتور : ما هذا الكلام ؟ أنا أكثر شخص أخاف على هذه البلد ، فكيف تتهمنى بهذا الاتهام الخطير ؟

اللواء : إذا كنت حقاً تحبها ، فلا تروج إشاعات بين الأطباء والناس ، حتى لا يمتلك الذعر قلوبهم وتعم الفوضى فى هذا البلد .

الدكتور : ولكن واجبى كطبيب أن أحذرهم من هذا الوباء .

اللواء : إذا استمررت فى عنادك هذا ستضطرنى إلى تسليمك للعدالة . والآن لكى تحمى نفسك من المساءلة القانونية وقع لى على هذا التعهد .

نظر الدكتور إلى نص التعهد الذى يعتبر بمثابة اعتراف منه أنه لا يوجد شىء اسمه كرونا ، وأنه كان يردد إشاعات فقط لم يتأكد من صحتها .

الدكتور بانفعال : ما هذا ؟!

اللواء : كما رأيت ، إذا لم توقع الآن مضطر للقبض عليك ومحاكمتك فى أسرع وقت . فما قولك ؟

تحت الضغط وقع الدكتور بالإجبار على هذا التعهد ، فلم يكن أمامه أية حلول أخرى. وقع فقط على الأوراق ولكنه لم يتنازل أبداً عن قضيته هذه . هذا الطبيب تجرأ على قول الحقيقة نحو الفيرس ، ولكنه قد تعرض لمحاولة إسكات من قبل السلطات الصينية . ظن رجال الشرطة أنهم عالجوا الموضوع كما ينبغى ، وأن الأمور أصبحت على ما يرام .

فى اليوم التالى جاء فريق أطباء من المركز الطبى الصينى وفحص المصابين السبعة لأجل السيطرة على المرض ، ولكنه لم يصنفهم بأنهم مصابو كرونا ، وإنما صنفهم بأنهم حالات متقدمة من الإلتهاب الرئوى .

بعدها فى مساء الأول من يناير لسنة ٢٠٢٠م أعلنت شرطة (ووهان) أن عدداً قليلاً من المواطنين نشروا معلومات زائفة بين الناس مما أثر سلباً على

المجتمع.حيث صرح أحد وزراء الدولة فى جميع وسائل الأعلام ، فقد ذاع الخبر عاجلاً . بأن ما يحدث فى مدينة (ووهان) مجرد حالات فردية قليلة جدًّا ، وليس هناك داع للقلق ، فمخاطر العدوى والانتقال بين البشر ضعيفة جداً بفضل جميع جهودنا الفعالة يمكن التحكم فى هذا المرض ، الذى لا يزيد عن كونه مجرد التهاب رئوى فقط .

أطمأن المواطنون جدًّا خصوصاً بعد كلام ذلك المسئول الذى من المفترض الوثوق به ، فلم يتخذ سكان مدينة (ووهان) أى احتياطات وقائية تجاه هذا الفيرس ، ولم يشكوا ولو للحظة واحدة بأن هناك وباء منتشراً ينتظرهم بين أرجاء المدينة .

فالمشكلة على ما يبدو كانت سياسية تتمثل فى تضليل الشعب واخفاء حقيقة وجود الفيرس . ولكن ليس خفيٌّ إلا وسيعلن فى يوماً ما .

بوتيرة سريعة أرتفعت أعراض ما يشعرون بالمرض فى (ووهان) حيث ظهرت (٢٠٤) حالة تم فحصها من قبل المركز الطبى الصينى لمحاولة السيطرة على المرض ، ولكنه أيضاً لم يصنفها بأنها مصابة بكرونا ، وإنما صنفهم بأنهم حالات متقدمة من الالتهاب الرئوى الحاد .

وكان من بين هؤلاء المصابين سبعة أشخاص من العاملين فى مجال الرعاية الطبية بمستشفى (ووهان) وهذا يؤكد سرعة انتشار العدوى بين البشر ، وطبعاً هذه الحقيقة تتنافى مع قاله ذلك المسئول من احتمالية الانتقال الضعيفة . بدأت الحقيقة تظهر رويداً رويداً ، إلى أن جاء خبر موت دكتور (لى وينلانج) الذى كان بمثابة صدمة للجميع ، حيث توفى بسبب انتقال العدوى له عن طريق أحد المصابين الذين كانوا يحملون الفيرس ، وذلك أثناء متابعته له ، حيث بدأ يشعر بالأعراض ، وحاول الأطباء زملاؤه علاجه ولكنهم فشلوا بالطبع فى ذلك . فالوباء جديد ولا يوجد له أى علاج ، توفي الدكتور بعد إصابته بحوالى ثلاثة أيام ، حيث كان فى العناية المركزة ولم يتحمل أكثر من ذلك ، توفي عن عمر يناهز ٣٤ عاماً ، حقاً إنه كان بمثابة بطل قومى للصين أخبر الناس بالحقيقة التى كانت ثمن حياته ، أثبت للعالم كله وليس لشرطة الصين فحسب أنه كان صادقاً فى كل ما يقوله وليس مروجاً للشائعات كما اتهمته السلطات بذلك .

لقد حظي بتعاطف واسع بين الناس ، لأنهم أدركوا أنهم يواجهون المصير ذاته . وهذا ما يفسر رد الفعل السريع من الشعب تجاه موته ، حيث قاموا بعمل تكريم عظيم له فى احتفالية حضرها الكثير من سكان مدينة (ووهان) الصينية . حقاً إن

خبر وفاته هذا الذى انتشر حول العالم أحرج السلطات الصينية بين الدول الأخرى . فقصة الدكتور دفعت الشعب الصينى أن يطالب السلطات بحرية التعبير عن الرأى .

*** انتشار الفيرس فى العالم :**

فى الشهر التالى (فبراير) من عام (٢٠٢٠م) من موت الدكتور (لى وينلانج) ، عقب موته مات ثلاثة أطباء آخرين من جراء هذا الفيروس اللعين . وفى يوم ١٠ مارس تم الإعلان الرسمى من قبل الحكومة الصينية عن إصابة (٢٣٠) حالة أخرى من العاملين فى مجال الرعاية الطبية ، إلا إنهم هذه المرة اعترفوا بوجود الفيرس حيث تم تصنيفهم بالإصابة بالكرونا ، وليس كالتهاب رئوى حاد كما كان يفعلون من قبل . يبدو إنهم لم يستطيعوا أن يداروا أكثر من هذا ، فالوباء كارثة كما نعلم لا تتعلق بشخص واحد فقط أو بحالات فردية ، كما كانوا يدعون ، وإنما يتعلق بمجتمع بأكمله ، فإذا وقع على بعض الناس فحتماً الكل سيتأثر .

بعد موت الدكتور (لى) اضطرت السلطات المحلية فى مدينة (ووهان) للاعتذار له ولعائلته وذلك حفاظاً على الرأى العام . كما أصدرت قرار بغلق سوق (هوانان) للمأكولات البحرية لهذه المدينة . حيث كانت تباع فى هذا السوق حيوانات حية كالخفافيش والخنازير ، يعتقد إنها كانت مصدر عدوى لهذا الفيرس ومنها للإنسان . خصوصاً بعد ظهور أعراض الفيرس على أحد مالكى المتاجر فى هذا السوق . وبعد عدة أيام صدر منشور رسمى من قبل السلطات الصينية بغلق مدينة (ووهان) وليس سوقها فقط وذلك لمنع تفشى انتشار المرض لباقى المدن الأخرى من الصين . وبعد مرور أقل من أسبوع فقط ، أعلن الرئيس الصيني السيطرة عمليًّا على الفيرس بما وصفته منظمة الصحة العالمية بالاحتواء الفعال والناجح للمرض ، إلا أن هذا الإعلان بالطبع لم يكن صادقاً فى الحقيقة ، لأن الكثيرين من المصابين كانت المستشفيات ترفض استقبالهم بحجة أنه لابد من إجراء الفحوصات الطبية أولا حتى يوافقوا على علاجهم ، فى حين أنه لا يجوز عمل أى فحوصات إلا داخل المستشفى نفسها ....!

وبهذا فلم تسجل المستشفيات حالات جديدة ، لأن جميع الحالات المصابة فى الخارج . ظن الجميع أن الأمر قد انتهى لهذا الحد ، خصوصاً أن الرئيس الصيني أكد على هذا بنفسه ، ولكن الغش لا يستمر كثيراً . ففى غضون بضعة أيام قليلة سجلت حالات كرونا فى أكثر من (١٩) دولة ، فالعدوى تنتقل عن طريق رزاز العطس أو المصافحة أو ملامسة الأسطح الحاملة للفيرس ، وبالطبع ساهمت وسائل النقل فى سرعة انتشاره . حيث انتشر بعدها فى (١٤٠) دولة حول العالم ، مما جعل منظمة الصحة العالمية أن تصنفه وباء عالميًّا.

خصوصاً بعد انتشاره فى أوربا ، لترتفع أعداد المصابين لأكثر من (٢٥٠) ألف حالة ، وحالات الوفيات إلى (١٤) ألفاً ماتوا بسبب هذا الوباء .

*** قدوم الفيرس لمصر :**

ومع ذلك لم تتوقف الحياة ولكنها استمرت إلى أن دق الفيرس باب جمهوريتنا مصر العربية ، حيث عبر القارات والحدود عن طريق السياحة وبعض العاملين بالخارج الذين عادوا إلى أهلهم .

فى المنتصف الثانى من شهر مارس لسنة (٢٠٢٠م) أصدر وزيرا التربية والتعليم العالى قراره بتعليق الدراسة فى المدارس والجامعات خوفاً من انتشار الفيرس بين أبنائنا الطلاب ، لأن الدراسات أثبتت سهولة انتشاره فى وسط التجمعات والازدحام. بعدها جاء قرار من قبل الحكومة المصرية بفرض حظر التجوال للحد من الازدحام ، وكان الحظر من منتصف الليل وحتى السادسة صباحاً . ثم جاء قرار آخر بإغلاق جميع المتنزهات والكافيتريات وقاعات الأفراح والنوادى ، وغيرها من أماكن تساهم بشكل مباشر فى انتشار الفيرس والعدوى . بعدها خرجت وزيرة الصحة د. هالة زايد لتطمئن الناس وتقول : إن معدل الإصابات قليل جداً وأن الحكومة المصرية مسيطرة على الوضع تماماً ، وأن عدد الوفيات لا يتعدى نسبة ١% من أصحاب الأمراض المزمنة والأعمار المتقدمة . وأن الأمور تبدو على مايرام ، كما شددت على ضرورة أخذ الإجراءات الوقائية تجاه الفيرس من غسيل الأيدى بالصابون جيداً ، أو تعقيمها بمواد طبية وارتداء الكمامة خارج المنزل . بعد عدة اسابيع أعلنت وزارة الصحة عن ارتفاع ملحوظ فى عدد المصابين نتيجة لعدم الالتزام بالاحتياطات الوقائية من قبل الشعب المصرى ، وأن هذا يعد حقًّا مؤشراً خطيراً .

وفى أحد الأيام أعلنت بعض القنوات الفضائية عن موت أحد الأطباء المصريين بفيرس كرونا . كانت المفاجئة لى كبيرة جدًّا إنه : دكتور أحمد اللواح مالك معمل بورسعيد للتحاليل الطبية .

يا إلهى إن الفيرس اقترب جدًّا من مدينتنا بورسعيد تلك المدينة الجميلة ، التى كان لا يعكر صفاءها أى شىء .

لم أكن يوماً أتوقع أن فيرس فى الصين يعبر الحدود والقارات ويأتى إلينا هنا . مشكلة هذا الفيرس تكمن فى كونه جديداً ومشفراً لا أحد فى العالم يعرف مدى ما يحدثه ويسببه من دمار ، وبما أنه جديد فلا يوجد بالطبع لقاح له ، فعندما يصاب أحد الأشخاص بالفيرس فإن الأطباء يعالجون أعراض الفيرس كالحمى ونقص

الأوكسجين ، ولكنهم لا يهاجمون الفيرس أو حتى يعالجونه ، كل ما فى الأمر يقومون بإعطاء المريض بعض الفيتامينات والأدوية التى تساعد على رفع مناعة الجسم لمواجهة الفيرس . أى أنه مجرد علاج بدائى وليس جذريًّا . فالدواء هنا وسيلة لتسلية المريض حتى تعالجه الطبيعة كما قال الفيلسوف فولتير .

فى أوائل إبريل لسنة (٢٠٢٠م) أصدرت الحكومة المصرية قراراً بإغلاق دور العبادة من كنائس وجوامع نتيجة لتفشى الفيرس بصورة كبيرة واضحة . استمر الوضع لأكثر من ثلاثة شهور كل شىء مغلق فى البلاد ينادون بشعار واحد فقط (خليك فى البيت حرصاً على سلامتك) . فالشوارع فى هذا الزمان أصبحت غير آمنة بالمرة ، فبمجرد نزولك إلى أحد منها تجعلك أكثر عرضة للإصابة بهذا الوباء. بدأ رجال الأعمال فى الشكوى للسلطات خصوصاً بعد قرار غلق المطارات ووقف حركة السفر ، الدولة نفسها بدأت فى الانهيار الاقتصادى فكل شىء متوقف المصانع السياحة التجارة وغيرها من قطاعات التى تعود بالنفع على البلاد ، حقاً أن الأزمة كانت عالمية وليس على مستوى الجمهورية فقط ، فشركات كثيرة مثل أبل وهواوى خسرت ملايين الدورلات فى تلك الأزمة ، بل إن بلاداً كثيرة وقع اقتصادها بسبب عدم قدرة أصحاب الشركات على دفع رواتب العاملين بها ، لأنه لم يعد يوجد عائد لهم .

إن هذا الفيرس اللعين لم يفرق بين دول متقدمة ودول نامية الجميع كانوا سواسية أمامه ، شركاء فى هذه الكارثة والأزمة الاقتصادية العالمية ....

كيف تحارب الدول هذا العدو الخفى المشترك بينهم ، أنه متناهى الصغر فى حجمه ولكنه متناهى الكبر فى آثاره ، بما يحدثه من فوضى وخراب فى البلاد .

لابد ان جميع بلدان العالم تتعاون مع بعضها للتغلب على هذه الأزمة ، لابد من سرعة وجود علاج وعمل لقاح مضاد لهذا الفيرس . قررت بلاد العالم احتواء الفيرس والتعايش معه ، وبدأت فى فتح أبوابها على مصراعيها ، فانتعشت السياحة ورجعت عجلة الإنتاج تضخ من جديد ، الأمر الذى جعل الاقتصاد العالمى والمحلى ينتعش شيئاً فشيئاً . وفى وسط هذه الأجواء كانت منظمة الصحة العالمية تحذر من الاستهتار والتراخى فى مكافحة الفيرس ، على أن هناك موجة قادمة أخرى فى شهر نوفمبر لهذا الفيرس ولا أحد يعلم إلى متى ستستمر .

" الفصل الثانى "

" الإنسان لا يعلم كم هو ضعيف إلا عندما يمرض ، وعكة صحية واحدة ستخبرك بحجم ما تمارسه من ترف فى حياتك ، فيأتى المرض ليذكرنا بنعمة الصحة التى كثيراً ما ننسى حمد الله عليها "

*** الموجة الثانية :**

بينما الجميع منشغلون بتجهيز مراسم الإحتفال برأس السنة الميلادية ، حاول رامى النهوض من على فراشه فلم يستطع . تعجب من ذلك جدًّا، وسأل نفسه قائلاً : لماذا لا أستطيع القيام من على سريرى ؟ ، سأجرب مرة أخرى ، بالفعل حاول أكثر من مرة ولكن دون آية جدوى .

ظل ملقياً فى سريره دون أى حراك ، بعد عدة ساعات جاءت الأم تنادى عليه : يا رامى يارامى ما كل هذا الكسل والنوم ؟

رامى : لم يعط جواباً

الأم بدأ عليها علامات القلق : هل أنت بخير يا بنى ؟

رامى : لم يستطع الكلام ، فقط أشار بيده ، ثم حاول أن يتمالك نفسه وقال بصوت خافت جدًّا يكاد أن يسمع : أريد أن أشرب .

خرجت الأم مسرعة وأحضرت له كوباً من الماء فحاول أن يشرب ، لأن عطشه كان شديداً جدًّا ولكنه لم يفلح فى هذا أيضاً . حاول عدة مرات وأخيراً نجح فى شرب رشفة واحدة من الماء . تساءل فى نفسه ما الذى يحدث لى بالضبط ؟ ما هذا الشعور الغريب ؟ ما كل هذا الإعياء والإرهاق الشديد ؟

الأم : أراك مرهقاً ما الذى حل بك ؟ لقد كنت ليلة أمس بصحة جيدة ...!

رامى : حقيقة لا أعلم

الأم : حاول أن تتمالك نفسك حتى نفطر سوياً .

رامى : لا أستطيع ولا يوجد لى شهية للطعام .

الأم : هل تتركنى آكل بمفردى ؟

رامى : لم يعط جواباً ، وإنما يبدو عليه علامات التبلد الواضحة وكأنه ذهب فى عالم آخر .

الأم : هناك شيء غير طبيعى بالمرة ، فأنا لم أرك هكذا فى حياتى . هل تسمعنى يا بنى ، أشعر أنك فى غيبوبة .

رامى : لم يستطع الكلام ولكنه أشار بيده للخروج من الغرفة . فخرجت الأم وهى تبكى على حال ابنها ، لم تعرف ما الذى تفعله بالضبط ؟ ، فهو لا يتكلم ، وهى لا تعلم ماذا أصابه حتى تستطيع علاجه .

فى المساء اتصل أخوه ماجد بأمه يسأل عن سلامة صحتها ، حيث قالت إنها جيدة ولكن صحة أخيك متدهورة جداً .

سأل ماجد ما أصابه بالضبط ؟

قالت الأم : لا أعلم هو لا يستطيع الكلام أو الحركة ، ولم يأكل شيئاً منذ الصباح ، حاولت معه أكثر من مرة لكنه رفض ، بل حتى كوب الماء لم يستطع شربه ، بعدها بدأت أسمع صوت سعاله عالياً جدًّا . ربما يكون أصيب بالإنفلونزا ، ولكن عندما يصاب بها فإنه يتكلم ويتحرك ويأكل أيضاً .

ماجد : حسناً دعيني أحدثه فى الهاتف .

الأم : ولكنه لا يستطيع الكلام يا بنى .

ماجد : فقط أعطيهونى ، وأنا الذى أحدثه .

الأم : حسناً لا بأس فى ذلك .

دخلت الأم إلى الغرفة وأعطت الهاتف لرامى قائلة له : أخوك يريد أن يحدثك لقد علم أنك مريض يريد فقط السؤال عليك .

رامى : ألو

ماجد : كيف حالك اليوم يا أخى ؟

رامى : إننى مرهق بعض الشيء

ماجد : هل هناك أعراض ظهرت غير الكحة ؟

رامى : أشعر بوجع فى معدتى لدى الرغبة فى الميل للقيء .

ماجد : هل هناك حالة عدم اتزان فى جسمك ، هل تشعر بدوار ينتابك الآن ؟

رامى : نعم أشعر بذلك

ماجد : هل فقدت حاسة الشم ؟

رامى : على ما أظن ذلك أن أمى جائتنى بوجبة الغذاء ولم أشعر برائحتها ، بل فقدت شهيتى على الطعام .

ماجد : هل تشعر بهبوط ونهجان شديد وألم فى جسمك وفى مفاصلك أيضاً ؟

رامى : نعم إننى راقد على فراشى لا أستطيع الحراك .

ماجد : حسناً لا تقلق أطمئن ستكون بخير ، ولكن حاول الآن أن تأكل أى شىء .

رامى : ولكننى لا أستطيع البلع أيضاً ، أشعر باحتقان شديد فى حلقى .

ماجد : هون عليك يا أخى ، وحاول أن تتحمل الألم .

رامى : سأحاول يا أخى

ماجد : سأتركك الآن ، مع السلامة .

أغلق ماجد الهاتف ، وبعد مرور حوالى ساعة جاء إلى المنزل ، ومعه شنطة كبيرة جداً ممتلئة بالكثير من الأدوية .

سألته الأم : ما كل هذا يا بنى ؟

ماجد : إنها أدوية خاصة بالتحصين من فيرس كرونا .

الأم فى تعجب : كرونا !

ماجد : نعم لقد ذهبت إلى الطبيب وشرحت له الأعراض التى يعانى منها أخى رامى ، فأخبرنى إنها حالة اشتباه كرونا .

الأم فى خوف : وما العمل إذن يا بنى ؟

ماجد : سيأخذ هذا التحصين وسننتظر النتائج .

الأم : ربنا موجود وقادر أن يشفيه .

ماجد : يارب المهم حالياً لابد من عزله بمفرده فى غرفة منفصلة .

الأم : هو عازل نفسه أصلا ربما يشك بأن الفيرس والعدوى قد أصابته .

ماجد : هذا جيد ولكن عندما تتعاملى معه يجب عليك ارتداء كمامة ، ولا تحاولى الجلوس معه فى هذه الفترة ، فقط ضعى الطعام واخرجى سريعاً من غرفته .

الأم : سأحاول يا بنى .

فى صباح اليوم التالى كان يوم الجمعة تعب رامى جدًّا ولكنه كان قادراً على الكلام والحركة ، ربما بدأ الدواء فى مفعوله . اتصل بأخيه يسأله قائلاً : هل هناك مستشفى فى المنطقة تستقبل حالات كرونا ؟

أجابه ماجد : نعم توجد بمنطقتى مستشفى تستقبل حالات كرورنا .

رامى : حسناً هذا جيد ، يمكننى الذهاب إذن .

ذهب رامى إلى هذه المستشفى ، حيث تقابل مع الطبيبة وقال لها : إننى أعانى من حالة اشتباه كرونا ، وأريد الكشف على وعمل بعض التحاليل اللازمة للتأكد من ذلك

الطبيبة : ومن الذى شخصك بهذا التشخيص ؟

رامى : أحد الأطباء بعيادة خاصة ، أقر بأن الأعراض التى أعانى منها تتشابه مع فيرس كرونا بنسبة ٧٠%

الطبيبة : أين الآشعة ؟

رامى : ليس لدي آشعة ، أنا هنا لكى أعملها .

الطبيبة : منذ متى بدأت تشعر بالأعراض .

رامى : منذ البارحة .

الطبيبة : وهل ترى أن فترة يومين فقط كفيلة كمقياس يبين مدى فاعلية العلاج وإظهار نتيجته ؟!

رامى : نعم أرى إنها كفيلة جدًّا ، عندما كنت أصاب بالانفلونزا العادية كنت أتناول قرصاً من الكونجستال أو الكونتافلوه ، وبعدها فى أقل من يوم واحد استعيد صحتى وأتحسن بشكل ملحوظ .

الطبيبة : هذا جيد ولكن ينبغى عليك أن تعرف أن أعراض فيرس كرونا تتشابه جدًّا مع أعراض البرد بنسبة كبيرة تكاد أن تصل إلى ٩٠% . فلا يوجد مبررعندما أصاب ببرد أن أقول : إننى أصبت بالفيرس .

رامى : ولكننى لم أشعر بأنه مجرد برد ، أشعر بالاختناق الشديد وبالسعال المستمر ، لقد فقدت حاستى الشم والتذوق فى يوم واحد .

أشعر بإعياء ونهجان مستمر وهبوط وتكسير فى كل جسمى ، أميل للغثيان عندما كنت أصاب بالإنفلونزا لم أشعر بكل هذه الأعراض .

الطبيبة : حسناً أعطنى أصبعك .

قامت الطبيبة بقياس مستوى الأوكسجين فى الجسم ، ولاحظت أنه قليل نسبيًّا ثم قالت لرامى : الأوكسجين قليل عندك ، ولكن هذا ليس مقياس على أنك مصاب بالفيرس ، إلا أننى قلقة بعض الشىء من فقدانك لحاسة الشم ، فهذا يعد عرضاً هامًّا وخطيراً من أعراض الفيرس .

رامى : لأجل هذا قلت لحضرتك أريد أن أكشف حتى أطمئن على صحتى .

الطبيبة : لا يجوز أن تكشف قبل أسبوع من ظهور أعراض المرض ، لأنك بفرض احتمالية وجود إصابة ، فالكشف حالياً لا يبين أى شىء ستكون النتائج طبيعية جداً ، لأن الفيرس يستغرق فى رحلته فى داخل الإنسان حوالى أسبوع حتى تظهر آثاره على الجسم .

رامى فى حيرة : يعنى هل أنا مصاب به حالياً أم لا ؟!

الطبيبة : إن العلم عند الله وحده . لا يجوز لى أن أقول لك إنك مصاب ، دون أخذ تحاليل منك أو وجود آشعة نستدل لها .

كما إننا لا نستطيع إجراء التحاليل والفحوصات الطبية وأنت غير تابع لمنطقتنا ، يمكنك الذهاب إلى المستشفى التابعة لك .

رامى : ولكن المستشفى التابعة لى دخلت فى مرحلة العزل للمصابين ولا تستقبل أحداً .

الطبيبة : حسناً ستضطر لعمل تحاليل وفحوصات على نفقتك الشخصية فى أى مستشفى خاصة ، مع العلم أن تكلفة هذه التحاليل قد تكون غالية نسبيًّا . عليك الآن أن تنتظر أسبوعاً لنرى تحسنك ، أو زيادة الأعراض فى حالة الإصابة لا قدر الله .

رامى : حسناً هذا اقتراح مناسب جدًّا ، شكراً لك ولوقتك .

غادر رامى المستشفى وعاد لمنزله ، سألته أمه عن نتائج الكشف ، فأخبرها بالذى حدث ، تعجبت كثيراً من كلام هذه الطبيبة ، ثم قالت : حسناً سنجرب أسبوعاً واحداً فقط كما قالت ، وإن شاء الله سيكون خيراً .

بعد مرور حوالى أسبوع لم يتحسن رامى ، بل أخذت صحته تزداد سوءاً يوماً بعد يوماً ، حيث تدهورت بشكل كبير جداً وملحوظ ...

اتصل رامى بالخط الساخن بمنظومة التأمين الصحى الشامل ، حيث أعلمهم بأنه مصنف ضمن حالة اشتباه كرونا ، ويحتاج إلى عمل تحاليل وفحوصات طبية للتأكد من ذلك ، ولابد من أخذ البروتكول المناسب للعلاج .

إلا إنهم أجابوه قائلاً : إن مريض الكرونا قد يشكل خطراً كبيراً عليهم وعلى مرضاهم الكرام ، لذا فلا يجوز له التنقل فى الوحدة الصحية حرصاً على سلامة الجميع من انتقال العدوى ، ثم قاموا بإعطائه رقم طوارىء كرونا وقالوا له أن يتصل بهم ، وهم حتماً سيقومون بعمل اللازم .

اتصل رامى لتجاوبه سيدة تقول له : بأنه ينبغى عليه التوجه إلى الوحدة التابع لها ، وعندما أبلغها رامى بأن الوحدة رفضت استقباله عندها ، قالت له : يمكنك الذهاب إلى المستشفى التابعة لمنطقتك ، فأعلمها إنها دخلت فى العزل ، وإنها لا تستقبل حالات بغير إحالة طبية إما من الوحدة أو مستشفى أخرى .

قالت له أخيراً يمكنك الذهاب إلى إحدى المستشفيات الخاصة ، فرصة سعيدة ثم أغلقت الهاتف .

تعجب رامى من ردودهم التى كانت غير متوقعة بالمرة ، وأخذ يفكر قائلا : إذا كان لا يمتلك مالاً لثمن التحاليل والآشعات ، فما العمل إذن ؟ . الحمد الله على نعمة المال ، ولكن كم من فقير لا يوجد لديه مال ، ويحتاج لإجراء فحوصات طبية ، كم من آلاف الأشخاص يومياً يتعاملون معهم بنفس الطريقة وهذا الأسلوب ، وعندما يتوفى أحدهم لا يعترفون بأنه توفى بسبب إهمالهم وتقصيرهم الطبى ، وإنما يقولون إنه صاحب أمراض مزمنة ، أو رجل متقدم فى العمر لم يتحمل المرض ، وإذا كان شاباً قد توفى يقولون إنه جاءنا فى حالة متقدمة من مرضه ، ما أكثر مبرراتهم التى لا تنتهى أبداً .

إن التعامل باستخفاف مع مرضى كرونا أمر لا يجوز السكوت عليه ، ولكن ما الذى يستطيع هؤلاء المرضى الفقراء أن يفعلوه تجاه تلك المؤسسات الصحية التى من المفترض إنها منشأة لخدمتهم ؟!

بعد عدة ساعات شعر رامى بأعياء شديد جداً ، وكأن طاقته قد سحبت منه ، بدأ يشعر بنهجان شديد ، وكان العرق يتصبب من كل جزء فى وجهه ، ثم أخذ جسده يرتعش وحرارته ترتفع ، ربما انتابته حالة من الحمى .

عندما رأته الأم بهذه الحالة ، خافت عليه كثيراً واتصلت بأخيه تخبره بتطورات المرض . حزن عليه كثيراً ، ثم أخذه إلى إحدى المستشفيات الخاصة حيث عمل آشعة على الصدر .

وجاء تقرير الطبيب : إن هذه الآشعة غريبة ، وإنه لأول مرة فى حياته يرى مرض كرونا يفعل كل هذا بالرئتين ، بل إنه يشك بأن الكرونا لا تستطيع عمل كل هذه النتوءات فى الرئة ، وإنما هذا المريض كان يعانى من قبل بمرض مزمن فى الرئة.
ماجد : وما رأيك فى حالته يا دكتور ؟

الدكتور : لا أستطيع أن أجزم القول بأنها كرونا ، لأن الكرونا فى وجهة نظرى لا تستطيع فعل كل هذا .

ماجد : حسناً كيف يمكننا إذن أن نتأكد من أنه مصاب بالفيرس أم لا ؟

الدكتور : يمكننا أخذ عينة دم (bcr) ولكن أخبرنى هل أخوك يتعاطى أشياء بجانب السجائر ؟

ماجد بإندهاش : أخى لم يتعاط شيئاً فى حياته أبداً ، بل حتى لم يدخن سيجارة واحدة طيلة عمره .

الدكتور بتعجب : كيف هذا ورئته بهذا المنظر البشع ، إن الرئة من كثرة الإلتهابات الموجودة بها والنتوءات قد تكون معرضة إلى مرحلة التليف فى أى وقت .

ماجد بحزن : تليف ...!

الدكتور : نعم ، وماذا كنت تعتقد إذن ؟

ماجد : وما العمل إذن يا دكتور ؟

الدكتور : لابد من معالجتها سريعاً ، لأنها لو تليفت لا نستطيع وقتها عمل شىء ، ولكن مبدئيًّا لابد أن نتأكد أولا من الإصابة بالفيرس .

لاحظ الدكتور أن رامى كان يتنفس بطريقة غريبة جداً ، وكأنه خارج من سباق جرى ، حيث كان يلهث بإستمرار . فطلب من ماجد أن يذهب إلى غرفة مجاورة لقياس نسبة الأوكسجين .

وبعد القياس وجد أن الأوكسجين نسبته تصل إلى ٧٠%

قال الطبيب : ليس لحاجتنا دلائل أخرى أكثر من هذا ، أخوك مصاب بالفيرس ، إن منسوب الأوكسجين بدأ يقل فى جسده ، وإذا لم يتم إسعافه حالياً بجلسة أوكسجين حتماً سيكون هناك خطر على حياته ، ولكن بما أننا فى مستشفى خاصة فلا نستطيع استقباله لأننا لا نستقبل مثل هذه الحالات ، يمكنك البحث عن المستشفيات الحكومية لأخذ جلسة أوكسجين هناك .

ماجد : ولكننى مستعد لدفع أى نقود ، فقط أريد إسعافه الآن .

الدكتور : لا أستطيع عمل شىء له ، إنها تعليمات مدير المستشفى .

ماجد : حسناً دعنى أحدثه .

الدكتور : ولكنك لا تستطيع مقابلته ، إنه الآن فى غرفة العمليات ، ولا أنصحك أن تنتظره لأنه سيغيب كثيراً ، وحتى إذا استطعت أن تقابله ، فهو لا يستطيع أن يرجع فى قراره هذا ، لأن جميع المستشفيات الخاصة قد يخافون على مرضاهم ، وعلى سمعتهم أيضاً ، فإذا ظهرت لنا حالة كرونا واحدة سيتم غلق المستشفى من قبل الحكومة ، هل تتفهم الوضع ؟

ماجد : نعم ولكن ...

يقاطعه الدكتور : لا تضيع الوقت أكثر من هذا ، اذهب الآن من هنا وابحث له عن مستشفى أخرى .

خرج ماجد حزيناً جدًّا ولا يدرى ما الذى يفعله ؟ أخذ أخاه رامى فى سيارته الخاصة حيث جلس رامى بالمقعد الخلفى ، ثم توجها إلى إحدى المستشفيات الحكومية ، أخبرهم ماجد بأن أخاه يحتاج إلى جلسة أوكسجين فى أسرع وقت ، أنه يكاد أن يختنق . ولكن أحد المسئولين قد أعلمه بأن المستشفى مزدحمة جداً ، ولا يوجد بها أماكن لاستقبال حالات أخرى جديدة ، وأشار عليه أن يذهب إلى مستشفى أخرى .

" الفصل الثالث "

" إذا فاجأنى الموت فى وقت من الأوقات ، فإننى أصافحه ولا أخافه ، بقدر ما أخاف المرض ، فالمرض ألم ندل لا يحتمل ، لكن الموت ينهى كل شىء "

*** فى قسم الطوارىء بالمستشفى :**

ركب ماجد سيارته وتوجه إلى إحدى المستشفيات الأخرى ، حيث رأى زحاماً شديداً وجمعاً غفيراً من الناس ، سأل الأمن عن إمكانية الدخول لأخذ جلسة أوكسجين . فوافق الأمن حيث أوصله إلى الطبيب الذى كان جالساً فى خيمة مع ممرضة .

ماجد : مساء الخير يا دكتور

الدكتور : مساء النور

ماجد : إن أخى يحتاج إلى جلسة أوكسجين فهو الآن يختنق .

الدكتور : كم هو معدل الأوكسجين لديه ؟

ماجد : سبعون بالمائة فقط

الدكتور فى تعجب : كيف هذا ؟ قم بإحضاره لى فوراً

جاء ماجد مسرعاً لأخيه وقام باصطحابه إلى حيث كان الدكتور ، دخل رامى إلى الخيمة ، فقامت الممرضة بقياس الأوكسجين له ، ثم أخبرت الدكتور بأن معدل الأوكسجين لديه ٦٩ % .

الدكتور باندهاش : كيف ؟! لابد أن نتأكد أيضاً من أحد الأجهزة الموجودة بداخل المستشفى . ثم وجه نظره لماجد وقال : خذ أخاك واذهب به إلى الداخل واطلب منهم فى قسم الطوارىء أن يقيسوا له الأوكسجين وأعلمنى بالنسبة .

بعد حوالى نصف ساعة ، أثناءها كان ماجد منتظراً حتى يقل الزحام ، عاد إلى الدكتور وأكد له نفس النسبة .

الدكتور : لابد له من أخذ جلسة أوكسجين الآن ، ولكن المشكلة تكمن فى أن جميع الأسّرة مزدحمة وممتلئة بكثرة المرضى ، حسناً يمكنك الانتظار معنا لحين فراغ سرير منها .

ماجد فى قلة حيرة : حسناً لا بأس سأنتظر معك .

مرت ساعة ثم اثنان ولم يحدث شيء ، فقط الانتظار طال وبدأ رامى يشعر بالاختناق أكثر فأكثر ، ذهب الأخ مسرعاً إلى الدكتور ، وأخبره بأن حالة أخيه رامى قد تزداد سوءاً ، فقال الدكتور : فقط أمهلنى قليلاً من الوقت .

ماجد فى يأس : لقد انتظرنا ساعتين حتى الآن ولم يحدث شيء ، وأخى لم يعد يستطيع التحمل أكثر من ذلك ، أرجوك حاول أن تقدر الأمر .

الدكتور : صدقنى إننى أتفهم الوضع جيداً ، ولكنك أيضاً ترى بعينيك كم الزحام حولنا ، ولكن لو أمهلتنى فقط نصف ساعة أخرى ، لاستطعت أن أوفر لأخيك سريراً ، فهناك مريض على وشك الانتهاء من جلسته .

ماجد فى حزن : نصف ساعة أخرى ، ربما أخى ...

الدكتور : أنا لا أستطيع فعل شيء أكثر من هذا ، فالأمر ليس بيدى كما تعلم ، فقط حاول أن تجعله يصمد قليلاً .

مرت حوالى ساعة أخرى من الزمن ، وأخيراً جاء الطبيب وأخذ رامى وأجلسه على سرير ، ثم جاءت الممرضة ووضعته تحت جهاز الأوكسجين ، وبعد مرور حوالى ساعتين انتهت الجلسة ، وجاءت الممرضة تقيس له الأوكسجين ، فتعجبت كثيراً لأن نسبته ظلت كما هى . فأخبرت الدكتور الذى جاء مسرعاً إلى رامى ، وكأنه لم يصدق ما قالته له الممرضة ، وعندما تأكد من ذلك بنفسه عن طريق قراءة الشاشة ، تعجب جداً وبدأ يشك فى الأمر ، إنه غير مألوف وغير طبيعى بالمرة ، فمن المفترض أن المريض إذا كان يعانى من ضيق فى التنفس وأخذ جلسة أوكسجين يتحسن مرة أخرى ويسترد ما فقده من كمية الأوكسجين ، ولكن الذى حدث هنا كان مخالفاً لكل القواعد الطبية . بدأ الدكتور فى طرح بعض الأسئلة على رامى ، إلا إنه قد وصل لمرحلة فقدان النطق ، فلم يستطع أن يجاوبه . فألتفت الدكتور إلى ماجد ، وبدأ فى استجوابه عن حالة أخيه الصحية .

الدكتور : هل ارتفعت درجة الحرارة عنده فى هذه الفترة ؟

ماجد : نعم

الدكتور : هل هو قادر على الشم والتذوق ؟

ماجد : لا إنه مفتقد لحاسة الشم .

الدكتور : هل كان أخوك يعانى من أمراض مزمنة ؟

ماجد : لا

الدكتور : كم يبلغ عمره ؟

ماجد : ثلاثون عاماً .

بعد أن انتهى الطبيب من الأسئلة ، أخبر ماجد بضرورة وضع أخيه تحت الملاحظة لمدة ٢٤ ساعة ، لأن الذى حدث معه أمر غير طبيعى ، فمن المفترض أنه بعد أخذه لجلسة الأوكسجين أن يتنفس بشكل طبيعى ، ولكن الذى حدث كان غير متوقع بالمرة ، مما جعله يشك بأنه مصاب بالفيرس .

الدكتور : سيمكث أخوك الليلة معنا هنا للمتابعة ، وغداً إن شاء الله سيتم عمل مسحة طبية له . يمكنك الانصراف الآن ، الوقت قد تأخر جداً إنها الثانية بعد منتصف الليل .

ماجد : ولكننى لا أستطيع تركه بمفرده هنا .

الدكتور : ولكننى لا أستطيع إبقاءك هنا معه ، لأن قوانين قسم الطوارىء تمنع وجود مرافق ، كما أنه يوجد خطر على حياتك إذا بقيت معه ، فأنت تعلم جيداً أن الفيرس سريع الانتشار والعدوى ، وينتقل عن طريق الاختلاط والتنفس أيضاً . وقف ماجد فى حيرة ، لا يعرف ماذا يفعل ، إنها المرة الأولى لأخيه فى المستشفى ، فكيف يتركه ويمضى ؟ . أدرك رامى ما يشعر به أخوه ، فنظر إليه وقال بصوت ضعيف يكاد أن يسمع : لا تقلق على يا أخى سأكون بخير ، أذهب أنت فى سلام .

نظر إليه أخوه نظرة وداع ثم تركه ومضى ، وبعد مرور حوالى ساعة جاء إليه مرة أخرى بغطاء وملابس وطعام وماء ، ثم وضع هذه الأشياء بجواره وابتسم له وتركه ومضى .

*** عمل المسحة :**

فى ظهر اليوم التالى جاء أحد شباب التمريض إلى رامى ، حيث كان مرتدياً ملابس وقائية ، وسأله قائلاً : هل أنت رامى ؟

أجاب رامى : نعم إنى أنا هو .

الشاب : حسناً سأقوم الآن بعمل مسحة لك ، كل ما عليك فعله فقط هو أن تنظر إلى أعلى السقف ، ولا تحرك رأسك يميناً أو يساراً . اتفقنا ؟

رامى : اتفقنا .

أخرج الشاب من صندوقه البلاستيك الذى يشبه حافظة الطعام (الأيس بوكس) آداة بلاستيك رفيعة جداً للغاية ، ربما أشبه ما تكون بخيط رفيع ، كان طولها حوالى ٢٠ سنتيمتراً ، ثم قام بإدخالها فى أنف رامى وبدأ بلفها وهى بالداخل ، حقاً كان الأمر مقززاً ومؤلماً جداً فى نفس الوقت ، بعد أن انتهى من عمله وضع هذه الأداة فى الحافظة ، ثم أخرج واحدة أخرى وفعل نفس الشيء بفتحة الأنف الأخرى . ثم حاول أن يطمئن رامى بقوله : لا تقلق إن شاء الله ستكون النتيجة سلبية .

فى المساء جاء الدكتور إلى رامى ويبدو على وجهه علامات الحيرة والقلق ثم بدأ الحوار مع رامى ، وهو مازال تحت جهاز الأوكسجين .

الدكتور : كيف حالك اليوم يا أستاذ رامى ؟

رامى : بخير والحمد الله

الدكتور : هل تعانى من أمراض مزمنة ؟

رامى : لا

الدكتور : هل تشتكى من آية أمراض ؟

رامى فى تعجب : لا

الدكتور : هل هناك تاريخ مرضى وراثى فى العائلة ؟

رامى : لا

الدكتور : هل كنت مخالطاً لأحد الحالات الإيجابية المصابة بفيرس كرونا ؟

رامى : لا

الدكتور : هل هناك شخص ما فى العائلة تمت إصابته بهذا الفيرس ، وأنت قمت بزيارته للاطمئنان على صحته والسؤال عليه ؟

رامى فى اختناق : لا لم أذهب لأحد ، واختصاراً للوقت يا دكتور لأننى مرهق جداً ، ولا أقدر على كثرة الكلام ، هل نتيجة المسحة ظهرت إيجابية ؟

الدكتور فى خجل : بصراحة نعم .

رامى : حسناً لا بأس بهذا ، ولكن ماذا ستفعلون معى الآن ؟

الدكتور : بالطبع سنكتب لك تصريح خروج ، على أن يتم عزلك فى المنزل لمدة أسبوعين .

رامى باستغراب : كيف تصرح لى بالخروج ؟ ، وأنت تعلم جيداً بأننى مصاب بالفيرس ، هل تود نشر العدوى بين الناس عن طريقى ؟!

علاوة على ذلك أن حالتى الصحية سيئة جداً كما ترى ، فأنا أحتاج إلى هذا الأوكسجين ، والذى لا أستطيع بالطبع توفيره باستمرار فى المنزل ، عندما أترك هذا الجهاز سأموت حتماً من الاختناق وضيق التنفس .

الدكتور : يا سيد رامى أرجوك أن تفهمنى جيداً ، نحن هنا وحدة فحص وكشف عن الفيرس فقط ، إننا مجرد قسم استقبال حالات الطوارىء ليس أكثر من هذا ، ولا يوجد لدينا غرف عزل مجهزة لاستقبال المصابين بالفيرس ، فوجودك هنا الآن قد يشكل خطراً ووباء كبيراً على كل الطاقم الطبى فى المستشفى ، لأن الفيرس كما تعلم قابليته على الانتشار سريعة جداً ، فلا يصح تركك هنا فى وسطنا ، فالنعجة الجرباء تعدى القطيع كله كما يقول المثل الإنجليزى .

رامى : إننى مستوعب لكلامك جيداً ، وأعلم أنكم غير مجهزين لعلاجى الآن ، ولكن يمكنكم إحالتى لأى مستشفى أخرى يوجد بها عزل وتكون مجهزة للعلاج . لكن أن تكتب لى تصريح خروج ، وأنا فى هذه الحالة فهذا أمر غير معقول ، ولا هو أخلاقى أو إنسانى بالمرة .

الدكتور بتلعثم : حسناً اهدأ الآن واسترح ، وأنا سأنظر فى موضوعك هذا بنفسى .

خرج الدكتور من عند رامى ، وبعدها جاءته ممرضة تطلب أخذ عينات دم منه ، مد رامى ذراعه نحوها ، فقبضت عليه بعنف وبدأت بسحب العينات بعصبية مفرطة حتى تورم وريده ثم بدأ رامى يصرخ من شدة الألم .

رامى : آه ، أرجوكى حاولى أن تتعاملى معى برفق أكثر من هذا ، إن وريدى قد تورم الآن بسببك .

الممرضة بغطرسة : هل ستعلمنى عملى ؟ ، من فضلك التزم الصمت ولا تعوقنى عن آداء واجبى .

رامى : حسناً ولكن ما هى التحاليل المطلوبة ؟

الممرضة (**cbc**) و (**PCR**) . أى صورة الدم الكاملة وتحليل الأجسام المضادة .

بعد أن انتهت الممرضة من عملها خرجت من الغرفة ، وبعد مرور حوالى نصف ساعة جاءت لتسحب عينات أخرى .....!

الممرضة : مد لى يدك حتى أستطيع أخذ عينات دم منها .

رامى فى تعجب : عينات ....!

الممرضة : نعم قد نحتاج لبعض تحاليل أخرى .

رامى بانفعال : لقد سبق لك منذ حوالى نصف ساعة أن سحبتى منى عينات وتورم وريدي بسببك ، والآن تريدين أن تورمى باقى أوردتى الآخرى ، أى منطق أو عقل يتقبل هذا الهراء . أنا أرفض ذلك بشدة ، ألا يكفيني التعب والإرهاق الذى أشعر به الآن .

الممرضة بعنف : كيف تمنعنى عن آداء عملى ؟ ، أعطنى يدك الآن . ثم تأخذ يد رامى عنوة ، فيسحبها منها مرة أخرى ويقول لها : إننى أريد مدير هذه المستشفى ، حتى أعلمه أننا لسنا بهائم كما أنتم تعتقدون ، يجب أن تعرفوا جيداً هذه الحقيقة أننا بشر مثلكم ، نمتلك شعوراً وإحساساً بالألم .

خرجت الممرضة غاضبة ساخطة وهى تهمهم بكلمات غير مفهومة ، لم يهتم رامى بسماعها ، وإنما شغله شيء واحد وهو عدم أخذ عينات منه مرة أخرى . وبدأت الأسئلة تدورفى ذهنه ، لماذا يأخذون دمه وهم غير مسئولين أصلا عن علاجه ؟ ، وما فائدة التحاليل وهم قاموا بإجراء مسحة له وتأكدوا من حقيقة وجود الفيرس به . فى وسط هذه الأسئلة التى كانت تتجول فى ذهن رامى ، دخلت طبيبة شابة وسألته قائلاً : لماذا تمتنع عن أخذ العينات منك ؟ ، هل تعلم أنه بإمكانى كتابة هذا فى تقرير طبى وإرفاقه بملفك ؟ ، ولكن هذا الأمر سيكون حتماً ضد مصلحتك .

رامى : لا يهمنى تقريرك هذا ، ولكن كل ما يهمنى عدم أخذ عينات منى مرة أخرى ، انظرى كيف تورم وريدي ، هل ترين منظر يدى البشع ؟ ثم لماذا تأخذون منى عينات كثيرة ، وأنتم لم تعالجونى لأنكم غير مجهزين لذلك ، من المفترض أن أذهب إلى مستشفى عزل مجهزة ، وهناك حتماً سيعملون لى التحاليل اللازمة . كيف تأخذون دمى هنا ويأخذون هم دمى هناك ؟ ، هل ترغبون بتصفية دمى حتى تستريحوا ؟!

الطبيبة : يمكنك أن تهدأ قليلاً حتى تسمعنى ، نحن مطالبون بأخذ عينات دم من المرضى لاستكمال ملفهم الطبى فى المستشفى لدينا هنا .

رامى عن غير اقتناع : وهل ستتكملون الملف بدمى ؟! شيء عجيب حقاً ...!

الطبيبة : إنها تعليمات وزارة الصحة يا سيد رامى ، أى مريض مصاب بالفيرس لابد له من عمل ملف خاص به فى المستشفى .وإذا لم نستكمل ملفك ، فلا نستطيع إحالتك وقتها لمستشفى أخرى حتى تتبنى علاجك ، ومن المفترض أننا سنرسل لهم نسخة من ملفك الطبى هذا .

رامى : على الرغم إننى غير مقتنع بكلامك بالمرة ، إلا أنه ليس أمامى سوى أن أوافقك على ما قلتيه لى ، على أن يتم تغيير هذه الممرضة بواحدة أخرى .

الطبيبة : حسناً سأرسل لك عبد الرحمن ، مع السلامة .

بعد حوالى عدة دقائق أتى شاب ممرض ، تبدو ملامحه مألوفة والابتسامة كانت مشرقة على وجهه ، ثم قال لرامى بمنتهى الذوق واللطف : هل تسمح لى يا سيد رامى بالقيام بأخذ عينات منك ؟ ، لأجل استكمال ملفك الطبى لدينا .

رامى : لا بأس ، فلتتفضل إذن .

وهنا يقوم الممرض بسحب العينات منه بمنتهى الهدوء والرفق .

رامى : هل كانوا عاجزين عن الإتيان بك فى بداية الأمر ، بدلاً من تورم وريدى بهذه الصورة البشعة ، مما جعل الموضوع يتطور لمشكلة معهم .

عبد الرحمن : أننا ندين لك بالاعتذار يا فندم ، أتمنى شفاءك العاجل ، وألف سلامة على حضرتك إلى اللقاء .

وهنا يدخل ماجد ليطمئن على صحة أخيه ، وينظر إلى يده ليجد الوريد كبيراً جداً .

ماجد بانفعال : ما هذا الغباء ، أى أحمق فعل بك هكذا ؟

رامى : إنها الممرضة يا أخى ، ولقد طالبت المستشفى بتغيرها وجاء ممرض أفضل منها .

ماجد : حسناً لا بأس يا أخى ، هل أخذت أى أدوية ؟

رامى : لا لم أتناول شيئاً حتى الآن .

ماجد : إلى متى سيتركونك هكذا دون أى علاج ؟ ، إن تأخرك فى تلقى العلاج ليس فى صالحنا . حسناً لقد أحضرت لك طعاماً ، حاول أن تتناول أى شيء منه ، وأنا سأذهب الآن للطبيب .

ماجد : طاب مساؤك يا دكتور

الدكتور : طابت ليلتك .

ماجد : أننى أتساءل عن وضع أخى الآن المصاب (بكوفيد ١٩) .

الدكتور : الحالة مستقرة لا تقلق عليه ، إنه تحت جهاز الأوكسجين منذ أمس .

ماجد : ولكنك تعلم جيداً أن هذا الأوكسجين ليس هو العلاج ، وأن الفيرس يتفشى الآن وينتشر فى رئته وكل أنحاء جسمه ، وهو موجود لديكم منذ البارحة ولم يتلق أى بروتوكول للعلاج .

الدكتور : أنت تعلم جيداً أننا لسنا مجهزين لذلك .

ماجد : حسناً يمكننى شراء بروتكول العلاج المناسب له من الصيدلية .

الدكتور : ولكن قوانين المستشفى تمنع استخدام أى أدوية خارجية .

ماجد بانفعال : قلت لكم أعطوه العلاج ولم تفعلوا ، اقترحت عليكم شراءه على نفقتى فلم توافقوا ، ماذا تريدون بالضبط ؟

الدكتور فى تلعثم : إننا نريد أن تستقبله إحدى المستشفيات المخصصة للعزل ، وبالفعل خاطبنا هيئة التأمين الصحى ، ونحن ننتظر الآن ردهم بالموافقة عليه .

ماجد : أنت تقول لى هذا الكلام منذ عدة ساعات ، ولم يحدث شىء حتى الآن ، أخبرنى ما حقيقة الأمر ؟

الدكتور بتلعثم : لقد جاء الرد من جميع المستشفيات بعدم الموافقة ، نظراً لإنها مزدحمة بحالات كثيرة جداً ، ولا يوجد بها أماكن خالية ، صدقنى لقد حاولنا كثيراً دون أى جدوى .

ماجد فى عدم اقتناع : آه حاولتم ، حاولتم كثيراً ، وما العمل إذن ؟

الدكتور : ليس أمامنا غير أنه يخرج من المستشفى ، ويقضى فترة العزل فى المنزل

ماجد بانفعال : حسناً ضيعت وقتنا منذ البارحة ولم تعطه دواء ، وأنت تعلم أن التأخير عن العلاج ليس فى صالح المريض ، والآن تريد إخراجه عنوة من المستشفى ، وهو فى حالة مزرية سيئة للغاية . حسناً سأحاول أن اتمالك أعصابى إذن وأسيطر عليها ، يمكنك أن تكتب له تصريح خروج الآن ، على أن يكون هذا

على مسئوليتك الشخصية ، يجب أن تعلم إنه إذا حدث له مكروه لا قدر الله ، فأنا سوف أقاضيك حتماً بهذا التعهد ، هل تستوعب هذا أم لا ؟

الدكتور فى تلعثم : ولكننى لا أستطيع أن أكتب لك هذا الإقرار .

ماجد : وأنا أيضا لا أستطيع أن أوافق على خروجه دون هذا التعهد منك .

الدكتور : أنت تعلم جيداً إننى قمت بآداء واجبى نحوه ، ولا دخل لى بهذه الأمور .

ماجد : حسناً إذا كنت أنت غير مسئول ، وليس لك شأن بهذه الأمور ، يمكنك مقابلتى إذن بمدير هذه المستشفى ، أظن أن له دخلاً بهذه المشكلة .

الدكتور فى تلعثم : ولماذا تصعد الموضوع إلى مدير المستشفى يا سيد ماجد ، فيمكننا حل الأمور سوياً .

ماجد فى ثقة : إذا كنت تستطيع حقاً حلها فافعل ذلك ، وأنا هنا منتظر النتائج .

الدكتور : إننى أوعدك أنه خلال الساعات القادمة إن شاء الله سنرسله إلى أحد مستشفيات العزل ، لكى يتلقى العلاج هناك .

ماجد : حسناً يا دكتور سأنتظرك ساعتين أخريين ، ولكن إذا لم أر نتيجة ، فسأتصرف أنا بمعرفتى ، ولا تلمنى وقتها على ما أفعله . اتفقنا أم لا ؟

الدكتور : أظن أننا قد اتفقنا . والآن دعنا نتفقد أخاك بالداخل .

يدخل ماجد والدكتور ومعه طبيبة أخرى وممرضة ثم يقولون لرامى : كيف حالك الآن يا رامى ؟

رامى فى وهن : الحمد الله

الدكتور : لا تقلق يا رامى لن نتركك حتى نصلك لبر الأمان

الطبيبة الشابة : نحن الآن نراسل الهيئة العامة للتأمين الصحى ، بعدما إستكملنا ملفك أرسلنا لهم تقريراً بحالتك الصحية ، ومنتظرون الرد إن شاء الله خلال الساعات القادمة .

ماجد : نحن شاكرون أفضالكم ومجهوداتكم العظيمة هذه ، ودائما الجيش الأبيض يقف مع شعبه .

الدكتور فى حماس : لا شكر على واجب ، ولا تقلق عليه أنه فى رعايتنا كما ترى .

ماجد : لا بأس

الطبيبة : إن شاء الله سيتلقى الرعاية والعناية الكاملة عندما يصل إلى مستشفى العزل .

ماجد : بإذن الله

يخرج الطاقم الطبى ويظل ماجد واقفاً بجوار أخيه ، ثم يبتسم له ويقول : كيف حالك يا أخى ، هل تناولت الطعام ؟

رامى : الحمد الله ، نعم تناولت القليل منه ، إننى ليس لى شهية على تناول الطعام .

ماجد : حاول أن تتغصب على نفسك يا أخى .

رامى : سأحاول . ولكن تخيل أن هؤلاء الأطباء كانوا يريدون إلقائى فى الشارع .

ماجد : هذا شىء متوقع من أمثالهم ، على أية حال إن الحوار الذى حدث هذا كله فى صالحك ، فقط تمسك برأيك هذا واثبت على موقفك ، وأنا معك لن أتركك ، أريدك أن تطمئن ولا تشغل بالك بأى شيء ، فستكون الأمور على ما يرام إن شاء الله.

رامى : حقيقة يعجز لسانى عن التعبير والشكر لك يا أخى الحبيب.

ماجد : لا تقل هذا الكلام مرة أخرى ، فنحن أخوان ولابد أن نكون سنداً لبعضنا فى مثل هذه الظروف ، وخصوصاً بعد وفاة أبينا رحمه الله .

رامى : ربنا يرحمه ، ويخليك لى يا أخى الغالى .

ماجد : والآن أريدك أن تحاول النهوض ، وتنظر لمحتويات هذه الحقيبة ، حتى إذا وجدت شيئاً ناقصاً بها أخبرنى لكى أحضره لك ، لأنك ستذهب إلى مستشفى العزل ، ولا نعلم كم ستبقي هناك ؟ ، والزيارات ممنوعة بها كما تعلم ، ولكنى أحضرت لك شاحن الهاتف حتى نستطيع محادثتك كل يوم للاطمئنان على صحتك . سأتركك الآن وأذهب لمتابعة الموقف ، لعلهم أتوا بشىء جديد .

رامى : لا بأس يا أخى

بعد بضع دقائق جاء شاب يبدو أنه غريب ليس من طاقم الطواريء ، ونظر إلى رامى فى ابتسامة خافتة وسألته قائلا : هل أنت رامى ؟

رامى : نعم إنى أنا هو

الشاب : هل تقدر على الحركة أم لا ؟

رامى : نعم أستطيع أن أتحرك .

الشاب : حسناً هذا جيد ، فلتأت ورائى إذن .

رامى فى تشتت : حسناً ولكن انتظر بضعة ثوان لكى أعلم أخى ، حتى لايقلق علىّ

الشاب مبتسماً : لا تقلق لقد قابلت أخاك بالخارج ، وهو يعلم جيداً إننى جئت الآن لآخذك .

خلع رامى قناع الأوكسجين من على وجهه ونهض من سريره ، وذهب مع ذلك الشاب الذى اصطحبه إلى سيارة إسعاف مجهزة ، وقام بالاتصال بأخيه الذى قال له: اذهب معه ولا تخف ، فأنت الآن خرجت من المستشفى ، وأنا سأستكمل لك إجراءات الخروج ، لا تقلق سأحاول اللحاق بك فور إنتهاء تلك الإجراءات .

سأل رامى ذلك الشاب : إلى أين سنتجه الآن ؟

الشاب : سنتجه إلى مستشفى العزل .

" الفصل الرابع "

" الألم هو أعمق ما فى الحياة ، الإنسان فى وقت اللذة يطفو على سطح الحياة ، أما فى ساعة الألم فيدخل إلى العمق . الألم ينقى القلب ، الألم يطهر الإنسان أكثر من ألف عظة . ساعة من الألم تنقى القلب فى الداخل "

*** فى مستشفى العزل :**

بعد حوالى نصف ساعة وصل رامى إلى المستشفى ، ثم طلب الأمن منه أن ينتظر قليلاً لحين تسجيل بياناته الشخصية من البطاقة ، ثم جاءه طبيب يرحب به قائلاً : أهلا وسهلاً بك يا فندم نورتنا .

رامى فى هدوء : أهلا وسهلا بك يا دكتور .

ثم صاح الدكتور قائلاً : حالة كرونا أخلى المكان فوراً ، تبعه صوت الأمن يتردد فى جهاز اللاسلكى كرونا أخلى الممرات الآن ، وكأن رامى مفخخ يرتدى حزاماً ناسفاً إن جاز التعبير ، أو يمتلك العديد من القنابل النووية . ثم نهضت الفتيات اللاتى كن جالسات فى الاستقبال مسرعات يميناً ويساراً ، صاحت إحداهن: يا لهوى كرونا. حقاً كان الوضع سخيفاً جداً بالنسبة لرامى ، فشعور أنك منبوذ فى المجتمع شعور قاس غير مرغوب به بالمرة ، أن تشعر بأنك موبوء فهذا إحساس شنيع ، فالآلام النفسية هنا التى عانى منها رامى أكثر بمراحل من تلك الآلام الجسدية . لم يتوقع رامى هذا الاستقبال الحافل منهم ، خصوصاً بأنه مفهوم أن المستشفى جميعها تخضع للعزل ، فكلها حالات كرونا أصلاً .

لم يفهم رامى ما الذى يحدث حوله ؟ ، هل هو نوع من الخوف والارتياب حقاً أم أنه نوع من التهريج والمزاح .

حقيقة لا يعلم ، ألم يفكر هؤلاء بأن رامى كان صحيحاً مثلهم ، وأنه أخذ العدوى فى بلدتهم ، وإنهم معرضون مثله لهذا الوباء ، أم أن طبيعة البشر دائماً يستبعدون الشر عنهم ، ربما المرض أصاب غيرى ولكنه حتماً لم يصبنى ، فأنا بعيد عنه كثيراً ، هكذا يفكر الجميع ، لم يفكر أحد منهم فى أنه إذا صبح مكان رامى فماذا سيفعل ؟!

بدأت علامات الغضب والسخط تظهر على وجه رامى ، لاحظها ذلك الشاب الذى استقبله بسيارة الإسعاف ثم قال له : لا عليك يا صاحبى ، لا تبال بهم ، إنهم إناس فارغو العقول ، هون على نفسك ، فالعامل النفسى مهم جداً وأساسى فى علاجك . لا تهتم بأفعالهم ولا تركز فى تصرفاتهم هذه .

هدأ روع رامى قليلاً ، ثم قال له : أشكرك على مواساتك لى ، ولكن ليس لى ذنب بأننى أصبت بكرونا .

الشاب : أنا أتفهم ذلك جيداً نحن بشر معرضون للمرض والموت فى أى لحظة ، هذه هى الحقيقة .

أصطحبه الشاب إلى المصعد وقال له : سنركب سويًّا ولا تخف من شىء .

رامى : ولكنى أخشى عليك من العدوى .

الشاب : الله قادر أن يحفظنى فهذه طبيعة عملى .

ثم ابتسم ذلك الشاب الخلوق وقال لرامى : تعال واقترب لنصعد سوياً . صعدا للطابق الثالث على ما يظن رامى ثم دخل إلى الاستعلامات ، وهنا ابتسم الشاب لرامى وتركه عند الفتاة حيث قال لها : اهتمى به هو مريض ومحول عناية من إحدى المستشفيات .

*** عناية (كرونا) المركزة :**

أخذت الفتاة بيانات رامى ثم قالت له تفضل بالدخول إلى العنبر . هم رامى بالدخول ليجد مكاناً واسعاً يحتوى على حوالى ٢٥ سريراً ، جميع الأسّرة كانت مشغولة بالمرضى باستثناء سرير واحد ، كانت أعمار المرضى فوق الستين عاماً ، جميعهم طريحوا الفراش ، شاهد رامى أحد الأطباء يستعمل جهاز الصدمات الكهربائية لإنعاش أحد المرضى ، بينما الآخرين موضوعين تحت أجهزة التنفس الصناعى ، كان جميع المرضى يرتدون (الحفاظات) أو يتم تركيب أسترة لهم ، لا أحد يتحرك ، الهدوء يخيم على المكان . ثم جاءت إحدى الفتيات يبدو أنها طبيبة ، وبدأت ترفع صوتها وتزعق فى وجه رامى : كيف دخلت إلى هنا بحذائك هذا ؟! ألا تعلم أن هذه هى العناية المركزة وهى معقمة تماماً ، وما هذه الحقيبة أيضاً ، كيف أتيت بها إلى هنا ؟ أين الأمن ألقوا بحقيبته هذه خارجاً ، حتى أنت أيضاً جئت إلى هنا من غير تعقيم ، يا إلهى ما كل هذه الفوضى التى تحدثها فى هذا المكان ؟!

رامى : لماذا ترفعين صوتك علىّ هكذا ؟ ألا تجيدين آداب الحوار اللائق ؟ أم أن مهنتك هذه جعلتك تتعاملين هكذا مع أولاد الناس ؟!

يجب أن تعلمى أننى لا أتخلى عن حقيبتى هذه لأن بها أشيائى ، ولا أستطيع أن أتخلى عن حذائى ، فأنا لا أستطيع التجول حافي القدمين خصوصاً أن الجو بارد فى

هذه الأيام ، أظن أن كلامى واضح ومفهوم ، وليس هناك داعٍ للزعيق مرة أخرى يمكنك حل الأمور بكل هدوء .

سمع رامى صوت رجل يبدو أنه الطبيب الذى كان يستعمل جهاز الصدمات يرد عليه قائلاً : تتجول أين يا أستاذ ، لعلك جئت لنزهة إلى هنا ؟! وكيف تقف على رجلك هكذا ، كيف تستطيع أن تثبت أمامنا بهذه القوة ؟!

رامى فى تعجب : أقف على رجلى ! ، هل كنت تريدنى أن آتى إليك على نقالة مثلاً ، حتى تستريح أنت بهذا المنظر !

الطبيب : نعم كل المرضى الذين يأتون إلى هنا يجيئون على ظهورهم ،لا واقفين على أرجلهم هكذا ، إنها العناية المركزة الخاصة بحالات كرونا يا فندم .

رامى : لا أستطيع أن أفهمك ، هل من المفترض أن أجىء لك بعدما ينهى الفيرس علىّ ، حتى تحاولون علاجى والاهتمام بى .

الطبيب : نحن غير متفرغين للرد على كلامك هذا ، وإنما انتظرنى لحين الانتهاء من عملى هذا .

رامى بانفعال : أنا لا أريد رؤيتك أصلا ، ولا أريد التحدث معك من الأساس ، كل ما أريده الآن هو جهاز الأوكسجين فحسب ، أشعر بالاختناق الحاد .

الطبيبة : من فضلك اهدأ ، وكف عن زعيقك هذا .

رامى : يعنى عندما كنت تزعقين منذ قليل كان هذا جائزاً لك ، وعندما بدأت أنا فى الزعيق لأننى أكاد أختنق فهذا محرم على !

الطبيبة : حقيقة أنت لا تحتمل ، أنا لا أستطيع التعامل معك . ثم يعلو صوتها بلهجة الأمر وتقول : ابحثوا لى عن شخص يتعامل مع هذا الكائن .

هنا يجيء أحد الشباب مبتسماً ويقول لرامى : من فضلك استرح هنا على هذا السرير يا فندم ، نحن نحتاج الآن إلى قياس الأوكسجين والضغط لك .

بعد أن قاس الضغط أعلم الطبيبة بأنه عالٍ ، وأن نسبة الأوكسجين تنخفض إلى ٦٨% .

قالت الطبيبة : أنا أرى أن صحته جيدة ، اصطحبه إلى العزل الداخلى ، لا أريد رؤيته هنا فى العناية مرة أخرى .

*** البحث عن غرفة عزل :**

رامى : وهل العزل الداخلى يحتوى على أوكسجين ؟

الشاب الممرض : طبعاً يا فندم ، وهل توجد مستشفى دون أوكسجين ؟!

رامى : هناك العديد من المستشفيات غير مجهزة بالمرة ، لذا رغبت فى التأكد منك الشاب : إن المكان هنا مجهز بكل الإمكانيات والرعاية يا فندم لا تقلق فصحتك تهمنا ، ألف مليون سلامة عليك . هل تستطيع حمل الحقيبة أم أحملها لك ؟

رامى : نعم أستطيع ، شكراً لذوقك .

الشاب : العفو يا فندم ، نتمنى لك الشفاء العاجل بإذن الله .

رامى : أشكرك .

اصطحب ذلك الشاب الممرض رامى إلى الطابق الثانى ، حيث سلمه لاستعلامات الدور قائلا : إن دكتورة فاطمة أوصت أن يقيم عندكم فى ذلك الطابق ، لأنها ترى أن حالته الصحية مستقرة ، ولا تستدعى وجوده فى العناية ، بل تتطلب الملاحظة والعزل فقط .

أجابه أحد الشباب الجالسين : لا بأس سأعتنى أنا به .

ثم اصطحبه ذلك الأخير إلى إحدى الغرف ، كانت الغرفة فارغة تماماً ، كان هناك أربعة أسّرة ثلاثة منهم بجوار بعضهم ، وواحد فى الأمام كان معزولا عنهم ومحاطاً بستائر مغلقة . سمع رامى صوتاً من وراء الستار يقول لذلك الشاب الممرض : ما الذى أتى بهذا إلى هنا ؟

قال الممرض : إن دكتورة فاطمة هى من قالت بأنه سيقيم هنا

الرجل بعصبية : خذه من فضلك وضعه فى عنبر آخر ، ولاُتدخل علىّ أى أحد هنا مفهوم أم لا

الممرض : آسف جداً سيادة الدكتور ، ولكن الأمر ليس بيدى كما تعلم ، ولكن على آية حال سوف أصطحبه معى لمكان آخر .

الدكتور : أنا سأنبه عليهم جميعاً أن لا يأتوا إلىّ بحالات هنا .

إننى أتعجب حقاً من ذلك الطبيب الذى يحجز عنبراً بالكامل لصالحه ، وكأنه جناح أو سويت خاص به فى فندق خمس نجوم ...!

دون أن يراعى مئات الضحايا الذين يموتون خارج المستشفى ، لعدم توفر أماكن لهم بداخلها ، سرير واحد كان من الممكن أن ينقذ حياة أحدهم .....

هنا ارتبك الممرض جداً وقال فى حيرة : تعال معى يا رامى لكى نستكمل الأوراق ولننقلك إلى مكان آخر غير هذا .

هل معك صورة بطاقة ؟

رامى : سؤال غريب من أين تتوفر لى صورة بطاقة الآن ، هل كنت أعد نفسى لكى أحتجز عندكم ؟!

الممرض : حسناً لا بأس أخبرنى كم عمرك ؟

رامى : ثلاثون عام .

الممرض : أين تسكن ؟

رامى : سامحنى يا أخى كل هذه البيانات يمكنك نقلها من بطاقتى ، أنا منهك جدًّا وأتحدث بصعوبة بالغة ، أحتاج حالاً إلى أوكسجين إننى حقاً أشعر بالاختناق .

الممرض : حسناً أنا متفهم ذلك ، ولكن هل لديك كارنيه تأمين صحى ؟

رامى فى تعب وإنهاك محاولاً السيطرة على أعصابه : يا أخى الحبيب أنا محول من مستشفى أخرى إليكم ، من المفترض أن يكون معكم كل بياناتى هذه ، وعلى آية حال يمكنك طلب كل ما تحتاجه من أوراق وبيانات وسأتصل بأخى لكى يحضرها لك ، فقط أريد الأوكسجين أشعر باختناق رهيب . ألا ترى وجهى بدأ فى الاحمرار ، أنه مؤشر على نقص الأوكسجين ، ألا ترى الكحة والسعال الذى أعانى منهما !

الممرض : حسناً أتمنى لك الشفاء ، فلتأت معى حتى نعد لك مكان .

رامى : أتمنى أن يكون هذا سريعاً ، لا أود أن أجول جميع أنحاء المستشفى بحثاً عن سرير .

الممرض : لا تقلق ، فقط ثق بى .

رامى : بل أثق بالله وليس أحداً سواه .

الممرض : حسناً تعال ورائى .

*** فى غرفة الملاحظة (العزل) :**

اصطحب الممرض رامى لممر طويل جداً ، وفى منتصفه تقريباً استوقفه ، ثم قال له : هذه هى الغرفة ، ثم نادى على إحدى العاملات وقال لها : جهزى هذا السرير لأن الأستاذ سيقيم هنا .

قامت العاملة بكل نشاط وسرعة بتنظيف السرير وفرشه ، شكرها رامى على ذلك ، ثم رقد عليه ، وجاء الممرض حيث ركب له الأوكسجين ، كان الجهاز معلقاً بالحائط ، فهم رامى بعد ذلك أنه عبارة عن وحدة مركزية تغذى المبنى بأكمله . ظل رامى تحت جهاز الأوكسجين ، وفى حوالى الساعة الثانية بعد منتصف الليل بدأ يشعر بالنعاس ، حيث كانت رأسه ثقيلة جداً ، وكان مجهداً لأبعد الحدود ، وفجأة...!

وجد الغرفة تضىء وجاء شخصان بملابس العزل ، وهى ملابس تشبه غرفة العمليات زرقاء عازلة ، وعلى رأس كل منهما (فيس شيلد) قناع واقى يشبه خوذة الدراجات النارية ، للحماية من الفيرس ، وكانا يرتديان تحته (كمامة) طبية . بالطبع كانا شبه ملثمين لا تعرفهما أصلاً ، تقدم أحدهما وقال : أنا دكتورة فاطمة ، استيقظ .

بدأ رامى فى الاستيقاظ ويحاول أن يستوعب ما يدور حوله .

الدكتورة : أنا دكتورة فاطمة التى قمت بالزعيق بها ، وبرفقتى دكتور مينا ، أتمنى أن تكون مستريحاً الآن .

رامى : أهلا وسهلاً بكما. بالطبع لم أقصد أن أزعق لأحد ما ، خصوصاً أن هذا ليس من أسلوبى أو أخلاقى ، ولكن لا يصح أننى أتعامل بمثل هذه المعاملة ، كيف عندما أصل للعناية تتعاملون معى بهذه الطريقة وهذا الأسلوب المستفز ؟ وعندما أتكلم وأدافع عن نفسى تغلطوننى ، أعتقد أن هذا لا يصح ، وليست هذه أخلاق الأطباء المعتادين عليها ، إنها مهنة الرحمة كما يظن أو يعتقد الكثيرون منا. ليس لى أى ذنب فى دخولى للعناية ، إذا كان الوضع خاطئاً كما ترون ، فيمكنكم مخاطبة المستشفى التى حولتنى إلى العناية لديكم ، والرد عليها بخطاب رسمى بأن حالتى الصحية لا تستدعى عناية ، وإنما العزل والملاحظة فقط ، أو كان من الممكن أن تخرجوننى بمنتهى البساطة متلاشين لهذا الحوار السخيف الذى حدث بيننا.

الدكتورة : نعم معك حق فى ذلك ، ولكنك تكلمت أيضاً بطريقة غير لطيفة بالمرة .

رامى : آه هذا رد فعل طبيعى ،لأنكما تعاملتما معى بطريقة أيضاً غير لائقة بالمرة. بالمناسبة أود أن أخبرك بشىء هام ، وهو أننى ابن ناس ومحترم ، أعمل مدرساً فى إحدى المدارس الحكومية ، وحاصل على درجة الماجستير فى علوم التربية .

الدكتورة : وما علاقة هذا الكلام بموضوعنا ؟

رامى : علاقته هو إننى لست قليلاً فى هذا المجتمع كما كنتم تعتقدون ، كما إننى لم آتيكم من الشارع ، بل محول من مستشفى كبيرة لها اسمها وسمعتها أيضاً . وليس لى ذنب بإننى قد أصبت بهذا الفيرس اللعين ، ما هى تهمتنا حتى تعاملونا بهذه المعاملة السيئة ؟ ، وكأنكم تعاقبونا على ذنب لم نقترفه ، ليس بيدنا أى دخل فيه ، وعامة أظن أن الموضوع قد انتهى بمجرد خروجى من العناية لديكم . ولكن أخبريني الآن ما الذى جاء بك إلى هنا فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟

الدكتورة : جئت لكى آخد منك عينات دم .

رامى : ولكنها الثانية بعد منتصف الليل ، يمكننا الانتظار للصباح ، كما أن اليوم قد تم سحب منى عينات كثيرة جداً فى المستشفى التى كنت مقيماً بها . ومن المفترض أن ملفى قد جاء معى ، وبه كل نتائج وتحاليل هذه العينات .

الدكتورة : يجب أن تعلم أن لكل مستشفى نظامها ، وكل مستشفى تحتاج إلى بيانات ، وهذا هو عملنا ولابد إن نتممه على أكمل وجه ، لابد من أخذ عينات الآن حتى نعرف مدى تقدم الفيرس داخل جسمك ، وبناء على نتائج التحاليل نبدأ فى إعطائك العلاج المناسب لحالتك هذه .

رامى : حسناً إذا كنت تودين سحب عينات كثيرة ، يمكننا تركيب (كالونا) إذن .

الدكتورة بتحد : أنت ستعرفنى عملى ، وما الذى يجب فعله ؟ وما الذى لا يجب عمله ؟ . لقد أصطحبت برفقتى الدكتور مينا فهو متخصص فى سحب العينات من أمثالك . ثم تلتفت للطبيب وتقول بلهجة الأمر : اسحب منه كل العينات اللازمة التى أخبرتك بها ، وعندما تخرج النتائج أعلمنى بها . كانت تقول هذه العبارة وهى فخورة جداً بنفسها ومتشفية فى رامى الذى كان طريحاً فى الفراش لا حول له ولا قوة . وكأنها بهذا أحست بنشوة الانتصار فى الحرب ، خصوصاً إنها لم تجرؤ على الرد على كلامه ، لأنه كان منطقياً جدًّا ، لهذا فهى تشعر برد اعتبارها ولو كان عن طريق الخطأ ، إلا أنه أرضى غرورها وكبرياءها .

نظر الدكتور مينا وقال لها : حسناً اهدئى وأنا سأقوم بعمل اللازم .

الدكتورة : أنا لست عصبية بالمرة ، كل ما فى الأمر أننى حريصة جداً على إتمام مسيرة العمل .

نظر إليها الدكتور فى استغراب وقال : حسناً لا تقلقى فكل شىء سيكون على ما يرام إن شاء الله .

الدكتورة : حسناً سأتركك معه ، وسأمر أنا على باقى المرضى لأتفقد أحوالهم .

الدكتور : وهو كذلك ، مع السلامة .

ثم نظر الدكتور إلى رامى وقال له : دعك من شأنها ، ولا تقلق منها ، فكل شىء سيكون على ما يرام .

ثم نظر إلى ذارعه الأيمن فوجده مليئاً بآثار الحقن ، وكذلك الأيسر أيضاً ، فقال لرامى : ما كل هذا ؟

رامى فى إعياء : أرأيت يا دكتور ، هل تأكدت بنفسك من آثار الحقن ، كل هذا السحب تم اليوم فقط .

الدكتور فى دهشة : حقاً لم أر مثل هذا المنظر فى حياتى ، على أى حال أريدك أن تتحمل فقط ، وأعدك أننى لن أقوم بسحب عينات كثيرة منك كما طلبت الدكتورة، فأنت غير قادر على تحمل كل هذا ، سنكتفى بأنبوبتين فقط ، وسوف أعمل على تركيزهم وتحليلهم ، وإن شاء الله لن نحتاج لسحب عينات أخرى منك بعد هذا .

رامى : الله يطمنك يا دكتور

الدكتور : لا تشد أعصابك فحالتك النفسية عامل أساسى فى علاجك .

رامى : لعلك سمعت عن هذا الاستقبال العظيم .

الدكتور : انس الأمر ولا تفكر به كثيراً ، المهم الآن أنك فى أمان تحت جهاز الأوكسجين ، فلا تحاول خلعه أبداً إلا فى الظروف القصوى فقط ، كأن تريد الذهاب لقضاء حاجتك فقط ، وأتمنى لك السلامة والصحة الجيدة .

رامى : أشكرك يا دكتور وسأعمل جاهداً بنصيحتك هذه .

خرج الدكتور من عنده ، وجاء بعدها شاب ممرض فصل عليهم الأوكسجين ، ثم قام بتوصيله على أنبوبة أوكسجين كل واحد منهم على حدة ، كانت الأنبوبة ضعيفة جداً ، شعر رامى بالاختناق حاول أن يحتمل الوضع ، فظل يقاوم لأكثر من نصف

ساعة ، ثم قام مسرعاً لهذا الشاب بالخارج حيث قال له رامى : أشعر بالاختناق ، أريد جرعة كبيرة من الأوكسجين .

الممرض : للأسف هذه تعليمات مدير المستشفى يا فندم أن نقوم بإغلاق الجهاز المركزى للأوكسجين حتى نخف عليه الضغط ، لأنه يضخ طيلة اليوم ، وفى الليل نقوم بنقلكم على هذه الأنابيب .

رامى : ولكننى أموت الآن من الاختناق ، وغير قادر على الاحتمال أكثر من هذا ، أمامك خياران لا ثالث لهما : إما أن تقوم بتزويد جرعة الأوكسجين ، أو تعيدنى مرة أخرى إلى وحدة الأوكسجين المركزية . ماذا ستفعل ؟

الممرض : للأسف الضغط فى أنابيب الأوكسجين ضعيف جداً مقارنة بالضغط فى وحدة الجهاز المركزى للأوكسجين .

رامى : حسناً إذا كان الوضع كذلك ، فيمكنك إعادتى الآن عليه .

الممرض الشاب فى تلعثم : ولكن إذا فعلت هذا فسوف يجازيني المدير ، وسأتعرض للمساءلة القانونية والتحقيق معى ، بحجة مخالفة تعليمات إدارة المستشفى .

رامى فى يأس : ولكننى أحدثك من باب الضمير ، هل تكسر تعليمات مدير المستشفى لأجل حالة إنسانية ؟ ، أم تشاهد أناساً يتعذبون أمامك من الاختناق والمرض ، وأنت قادر أن ترحمهم من عذابهم هذا وترفض أن تفعل شيئاً لهم ، تذكر أنك إنسان قبل أن تكون شخصاً يعمل هنا ، وأن فى قلبك رحمة ، وأنا أدعو الله من كل قلبى أن يحميك من هذا الوباء ، وأن لا ترى المرض ولا تذوق التعب الذى أنا أتجرعه الآن .

ابتسم الممرض فى خجل شديد وقال : حسناً يمكننى عمل حل وسط ، سأنقلك كما طلبت على الوحدة المركزية ، ولكن إذا جاءك مرور أو لجنة وسألوك فقل لهم : أنك الذى فعلتها ، وأننى ليس لى دخل بهذا . وعندها سيرسلون لى لكى أحولك على الأنبوبة ، دون أن يحققوا معى أو يجازونى .

رامى : حسناً اتفقنا ، كم أنت نبيل وشهم حقاً .

الممرض : أسأل المولى عز وجل أن يشفى عنك .

رامى : آمين ، فقط أدع لى من كل قلبك يا أخى .

ثم وضعه الممرض على جهاز الأوكسجين المركزى ، وكأن رامى ينظر إليه جيداً حتى التقط كل ما كان يفعله .

فى الصباح فى تمام الساعة السابعة عاد الممرض من جديد يبتسم لرامى ويقول له : صباح الخير آسف سأضطر لنقلك على أنبوبة الاوكسجين ، لأن هذا التوقيت هو موعد تسليم الشيفت ، وهذا يعنى أنه من المحتمل أن أحداً من المسئولين قد يمر عليك حالاً .

رامى : حسناً وهو كذلك .

الممرض : فقط وقت تبديل الشفتات، ثم سيأتى أحدهم وينقلك على الجهاز المركزى للأوكسجين مرة أخرى، أنت تعلم أنه يعمل فى الصباح أصلاً .

رامى : حسناً لا يوجد مشكلة فى ذلك ، شكراً لوقفتك معى وتعبك من أجلى

الممرض عن رضا : لا شكر على واجب ، أتمنى أن تتعافى سريعاً .

خرج الشاب الممرض من الغرفة وبعد حوالى نصف ساعة جاءت إحدى الممرضات ونقلتنا من الأنبوبة الأسطوانية إلى جهاز الوحدة المركزية للأوكسجين ، وقامت بإعطائنا جرعة العلاج المناسبة لكل منا،حيث قامت بعملها على أكمل وجه.

لاحظ رامى وجود سريرين آخرين فى الغرفة ، يجلس عليهما رجلان ، واحد عن يمينه والآخر عن يساره ، ففهم أنه عنبر رجالى وليس مختلطاً كالذى رآه فى العناية.

سأله الرجل الذى كان على يساره ، هل تستطيع قراءة الأوكسجين لى من على الشاشة ؟ ، لأننى لا أعرف كيفية قراءته ؟ .

رامى : نعم أستطيع ، فقد رأيت الممرضة منذ قليل وهى تقيس لنا الأوكسجين .

الرجل : حسناً هذا جيد ، قل لى كم منسوب الأوكسجين ؟

رامى : أنه يتراوح ما بين ثمانين واثنين وثمانين .

الرجل : وهل هذا جيد أم ردىء ؟

رامى : لا هذا ولاذاك ، إنه متوسط ، ولكن يفضل ألا يقل عن تسعين .

الرجل : وما العمل إذن ؟ حتى نستطيع رفع معدل الأوكسجين ؟!

رامى : يمكنك تغيير وضعية جسمك ، يمكنك الجلوس بدلاً من الرقاد ، فعند الجلوس ستتنفس بصورة أفضل بكثير ، هكذا قال لى أحد الأطباء عندما كنت فى العناية المركزة .

الرجل : حسناً لا بأس ولكنى لا أستطيع النهوض .

رامى : سأساعدك يا رجل لا تقلق ، ها ما شعورك الآن ؟

الرجل : أشعر أننى أتنفس بشكل أفضل بكثير .

رامى : عندما تشعر بالاختناق افعل هذا وأنت تستريح ، فقط حل مؤقت حتى أتعلم كيفية تزويد ضغط الأوكسجين بنسبة أعلى من خلال الجهاز .

الرجل : أشكرك ، ربنا يشفى عنك يا بنى .

رامى : وعنك أيضاً يا عمى ، أخبرنى عن أسمك ؟

الرجل : إبراهيم

رامى : وعنك يا عم إبراهيم .

بعد العصر جاءت إحدى الممرضات ، حيث أعطت للمرضى جرعة العلاج ، ثم قالت لهم : إن منسوب الأوكسجين سيتم تخفيضه بعد العصر ، لأن فى هذه الفترة يكون الضغط شديداً جدًّا على أجهزة المستشفى ، فينبغى خفض الضغط بناء على تعليمات السيد الدكتور مدير المستشفى .

سألها رامى : كيف ستقللين الضغط إذن ؟ ، هل ستحولينا على أنابيب الأوكسجين ؟

قالت الممرضة : لا ، بل سأتحكم فى تقليل الضغط عن طريق هذا الجهاز ، سأترككم عليه كما أنتم ، ولكنى سأخفض منسوب الضغط فقط .

رامى : حسناً لا بأس فى ذلك .

تابعها رامى جيداً ورأى ماذا فعلت بالضبط ، قامت الممرضة بالضغط على إحدى المكابس الموجودة بالجهاز،وقتها شعر رامى بأن الأوكسجين بدأ يقل تدريجياً لديه ، وبعدما خرجت قام رامى بتغيير الأوكسجين فى الاتجاه المعاكس ، ولاحظ أنه بدأ يضخ بشكل جيد .

بعد حوالى ١٥ دقيقة بدأ الرجل (العم إبراهيم) فى الصراخ حيث قال : أريد الأوكسجين أشعر بالاختناق ، ولكن للأسف لم يلتفت إليه أحد . بدأ صوت الصرخات يعلو ولكن دون أى جدوى .

حاول رامى النهوض من سريره ثم توجه ناحيته ، حيث قام بقياس منسوب الأوكسجين له ، تعجب رامى جداً إذ أنه لاحظ أن المنسوب قل إلى ستين بالمائة . وهذا معناه أن الرجل سيختنق خلال بضع ساعات قليلة .

اغتاظ رامى جداً بسبب تعليمات مدير المستشفى نحو المرضى ، حيث قال فى نفسه: إن هذا المدير سيقضى علينا حتماً بالإختناق بسبب نقص الأوكسجين . ساعد رامى العم إبراهيم فى الجلوس بطريقة صحيحة حتى يستعيد منسوب الأوكسجين الذى فقده ، ثم فتح له مكبس الأوكسجين فبدأ فى عملية الضخ ، وبعد حوالى ثلث ساعة ارتفع معدل الأوكسجين ليصل إلى تسعين وذلك بعد القياس .

رامى : هذا جيد يمكنك الآن الرقود على جانبك ، إذ كنت قد تعبت من كثرة الجلوس

العم إبراهيم : حسناً ولكنى سأتعبك يا بنى .

رامى : لا يوجد تعب بين الأحباب .

فى المساء جاءت إحدى الممرضات لإعطاء جرعة الدواء اللازمة للمرضى ، اندهشت الممرضة حين رأت أن مستوى ضغط الأوكسجين كان عالياً . وتساءلت فى تعجب : ألم يأتيكم أحد اليوم لخفض مستوى الأوكسجين ، ولكن لم يجبها أحد من المرضى . تعجبت جدًّا من صمتهم ، ثم قالت : حسناً لا بأس ، كلها ساعة زمن واحدة ويأتكم أحد ، ثم تركت العنبر وانصرفت ، وبعد مرور حوالى ساعة ، جاء أحد الشباب وحول جميع المرضى على أنابيب الأوكسجين .

مرت عدة دقائق قليلة ، وشعر الجميع بالاختناق بسبب قلة ضغط الأوكسجين .

نهض رامى وهو غاضب من هذه التعليمات منهك من التعب ، حيث كان يشعر بالاختناق . وقام بتحويل الجميع على جهاز الأوكسجين المركزى ، حتى استطاعوا أن يتنفسوا جيداً معاً .

فى الصباح جاءت إحدى الممرضات لإعطائهم الأدوية وتعجبت جداً وسألتهم : هل تم نسيانكم البارحة ولم يأتكم أحد لتحويلكم على أنابيب الأوكسجين ؟

رامى : وهل هذا يفرق معك كثيراً لهذه الدرجة ، المهم هو أن يصل لنا الأوكسجين

الممرضة : المهم أن تكونوا على ما يرام ، ولتهتموا بأنفسكم إذن ، والله قادر أن يشفيكم جميعاً .

رامى مبتسماً : شكراً لك .

فى المساء بينما كان الأستاذ رزق المريض الآخر الذى كان يجلس عن يمين رامى ، يريد النهوض من فراشه للذهاب إلى المرحاض ، تعثر الرجل وكاد أن ينزلق ، فقام رامى مسرعاً نحوه ولحق به قائلاً : ألف سلامة عليك يا أستاذ رزق .

ابتسم الرجل وقال له : شكراً لك يا رامى ، لا أعرف ما الذى حدث لى بالضبط ، ربما هو ذلك الدوار الذى ينتابنى فجأة

رامى فى تؤدة : هل أنت بخير الآن ؟

الأستاذ رزق : الحمد الله

نشأت بين رامى ورزق صداقة قوية ، لأنها كانت مبنية على علاقة تشبه الأخوة ، حقاً إن علاقة الشدة هى التى تدوم زمناً طويلاً .

بدأ رامى حديثه مع رزق قائلاً : حقيقة إننى أتعجب كثيراً ، وأسأل نفسى قائلاً : كيف أصبت بهذا الفيرس اللعين ؟ ، كل ما أفكر فى هذا الأمر أكاد أن أصل إلى الجنون ... !

حقاً إننى مندهش جداً بإصابتى هذه ، فأنا أول من أرتدوا الكمامة منذ الموجة الأولى ، وأحرص باستمرار على الإجراءات الاحترازية .

ابتسم الرجل وقال : لا تعتقد أن هذا الفيرس الذى قد أصابك أو أصابنى أيضاً قد أصابنا بإرادته ، إن الله سبحانه وتعالى جعله جنداً وسخره لنا لإصابتنا هذه ، لأن الله عادل وحكيم وحكمته عميقة جداً ، لا يفهمها الكثير من البشر .

تعجب رامى من كلام الرجل وسأله : وما حكمة الله فى ذلك ؟!

قال رزق : بالنسبة لى لقد كشف الله عن عينى من يحبنى ومن يخاف علىّ ، ومن لا يهمه أمرى . لقد وصلت لمرحلة أن الجميع يحبوننى ويتوددون إلىّ ، بالطبع لم يكن ذلك لشخصى ، وإنما كان لمنصبى الاجتماعى فأنا أعمل فى وظيفة مرموقة جداً ، ولدى الكثير من المعارف والعلاقات العامة .

أشكر الله لأجل هذا المرض فهو عرفنى من هم أحبائى حقاً . وأنت كذلك يا رامى الفيرس الذى أصابك هذا لحكمة ما ، أكيد ربنا يريد توصيل رسالة لك معينة عن طريق هذا المرض .

رامى : ولكننى حقاً لا أحب المرض ، وأعتقد أنه لا يوجد شخص خلق على هذا الكون يهوى المرض أو أى شىء سىء .

رزق : إن الله يجربك يا رامى إنه يمتحن صبرك واحتمالك للمرض ، فاصبر عسى الله أن يفرج همك وغمك وتذكر أيضاً ضاقت ، فلما استحكمت حلقاتها فرجت . صدقنى سيأتى اليوم الذى تخرج فيه من هذه المحنة والشدة وستتعافى بإذن الله ، وسيكون كل ما حدث هذا مجرد ذكرى فى حياتك ، ولكن الله يريدك أن تتعلم الصبر وأن تتقبل العطايا السيئة بشكر ، كما تتقبل منه العطايا الجيدة أيضاً .

رامى : ولكن هذه مشكلة جميع بنى آدم ، يتقبلون الأشياء الجيدة فقط ، أما السىء منها فيرفضونه .

رزق : ولكن ربما كان الله يود أن يميزك عن هؤلاء البنى آدمين ، يريد أن يجعلك مختلفاً مثلاً ، هل سمعت بقصة سيدنا أيوب ومرضه الشديد ؟

رامى : سمعت عنها بالطبع ، ومن منا لا يعرف قصته ؟

رزق : انظر كيف جربه الله بالمرض وكيف نجاه منه ، وعوضه الكثير من خيراته ونعمه .

رامى : معك حق فى ذلك .

رزق : ربما يريد الله أن يعوضك بعد هذه الشدة ، ولكن إذا صبرت فقط ، فاصبر على ما ابتليت به إن الله مع الصابرين .

رامى : سأحاول . ولكننى أشعر الآن بالاختناق ، ربما أن منسوب الأوكسجين قد قل بسبب كثرة كلامى .

رزق : حسناً لا بأس يمكنك أن ترتاح قليلاً ، ولكن دعنى أقول لك شيئاً صغيراً .

رامى : تفضل .

رزق : حتى ذلك الأوكسجين الذى تعتقد أنه حق مكتسب لك ، ربما الآن علمت أنه من نعم ربنا علينا ، وأنه هبة يعطيها لمن يستحق ، ومن الممكن أنه يستعيدها فى أى وقت يريده هو . هل فهمت معنى كلامى ؟

رامى : أحاول أن أستوعبه .

رزق : إن لحظة المرض ليست لحظة عبثية ، إنها رسالة سماوية ، يقول لك الله من خلالها تأمل نعمتى وفضلى عليك يا إنسان . لولا هذا الألم الذى تشعر به الآن ، ما كان هناك شعور بطعم الراحة ، والمر الذى يختاره الله لنا أفضل بكثير من الشهد الذى نختاره لأنفسنا ، وعسى أن تكرهوا شيئاً لأنفسكم وهو خيراً لكم .

رامى : ونعم بالله .

فى صباح يوم الخميس شعر رامى بألم شديد جداً ، كاد أن يمزق أحشاءه ، نظر إلى الأستاذ رزق وسأله قائلاً : هل تستطيع النهوض من سريرك ؟

قال له : نعم أستطيع .

رامى : إذن أستسمحك فى الذهاب لهم إلى الخارج ، وأخبرهم بأننى أحتاج إلى دكتور باطنة حالاً ، إننى أكاد أموت من الألم .

نهض الرجل من فراشه مسرعاً وأخبرهم بما قاله رامى ، وبعد حوالى عشر دقائق جاءت إحدى الطبيبات ، حيث أخبرته عن اسمها وسألته عن شكواه ؟

قال رامى : أنه يشعر بمغص رهيب فى أحشائه ، وكأن هناك سكيناً يمزقها .

فحصت الطبيبة داليا بالسماعة ، ومدت يدها نحو بطنه ، وسألته عن أماكن الوجع بالضبط . ثم قالت لرامى : لا تقلق من شىء سنعالج الأمر وستكون بخير بإذن الله .

وبعد حوالى ربع ساعة جاءت إحدى الممرضات ، حيث علقت له محلولاً مطهراً معوياً كان خاصًّا بحالات التسمم الطارئة .

سألها رامى عن ماهية هذا المحلول ؟

قالت الممرضة : إنه محلول مطهر قوى سريع المفعول ، فلا تقلق ستكون بخير إن شاء الله ، ثم انصرفت .

بعد حوالى ساعة من الزمن بدأ الألم يهدأ شيئاً فشيئاً ، إلى أن اختفى نهائياً خلال ساعات قليلة .

فى المساء نحو الساعة السابعة جاءت دكتورة عبير إستشارية قسم الباطنة ، كشفت على جميع المرضى ، حيث قامت بقياس الاوكسجين والضغط ، ووجدت أن الأوكسجين جيد ، فابتسمت وقالت هذا مؤشر ممتاز ، ليس هناك داع الآن لارتداء

قناع الأوكسجين ، يمكنكم الجلوس من غيره لنرى هل سيقل معدل الأوكسجين أم سيثبت عند ذلك ؟

إذا لم يقل سنكتب لكم على خروج فى منتصف الليل ، على أن تبدءوا فى فترة العزل المنزلى لمدة أسبوعين . برجاء الراحة التامة وعدم الإجهاد أو النزول إلى الشارع لأى سبب من الأسباب ، لأنها فترة عدوى ، وفى نفس الوقت مناعتكم ضعيفة جداً ، وهذا يعنى أنكم فى وضع حرج ، فحافظوا على أنفسكم ، حتى لا يحدث لكم انتكاسة نحن فى غنى عنها .

أستأذنكم فى الانصراف لمتابعة باقى الحالات الآخرى ، أتمنى لكم الشفاء العاجل عن قريب بإذن الله ، مع السلامة .

أنصرفت الدكتورة عبير من العنبر ، وبعد العشاء جاءت إحدى الممرضات وقاست الأوكسجين لرامى ومن معه من مرضى ، فوجدته مازال مستقراً ، فقالت لهم : حمد الله على سلامتكم ، سأبلغ الدكتورة بحالتكم .

وفى تمام الثانية عشرة بعد منتصف الليل ، جاء أحد شباب التمريض يخبر رامى ومن معه بإمكانية الإتصال بأهلهم ، لأن تصريح الخروج قد كتب الآن .

*** الخروج من المستشفى :**

جاء أخو رامى بالسيارة حيث اصطحبه إلى المنزل ، وعندما وصل رامى أنفجرت الأم فى البكاء ، حيث قالت : كم أشتاق إليك يابنى ، أنت متغيب عنى منذ أسبوع ، لم أعتد على ذلك منك ، والآن تطالبنى بالرحيل ؟

رامى : أرجوكى يا أمى اتركينى واذهبى امكثى عند أخى ، ولا داعى للإطالة فى المنزل أكثر من هذا ، ولا داعى لكثرة الكلام أيضاً فإننى مرهق جداً .

الأم : ولكنى سأكون قلقة عليك وغير مطمئنة .

رامى فى غضب : قلت لك اتركيني فحسب ، وجودك معى يمثل خطراً على حياتك ، ستنتقل لك العدوى ، وأظن أننا فى غنى عن ذلك

ماجد : ليس هناك داع بأن تجازفى بحياتك ، وخصوصاً أن لديك أمراضاً مزمنة ، فلا تستطيعين المقاومة .

الأم : ولكن من سيعتنى به ، أننى أخشى أن تتدهور صحته فجأة ولا يشعر به أحد .

رامى : لا تقلقى بشأنى ، فقط اتركى المنزل الآن ، خذها يا أخى إلى منزلك ، أظن إنها هناك ستكون فى أمان .

خرجت الأم وهى حزينة والدموع فى عينيها ، فالمرض لا يؤلم المريض فقط ، بل يؤلم أحبائه أيضاً ، ثم قالت : لا تغلق الهاتف حتى أطمئن عليك ، وإذا شعرت بأى تعب اتصل بى فوراً .

ماجد : لا تقلقى سأعتنى به وأحضر له الطعام يا أمى .

بعد مرور حوالى أسبوع طرق باب المنزل أحد الأشخاص ، تطلع رامى لينظر بالخارج ، فرأى أحد الشباب ومعه فتاة .

سألهم رامى : ماذا تريدان ؟

ابتسم الشاب وقال : نريدك أنت ، ألست أنت رامى ؟

رامى باستغراب : نعم إنى أنا هو ، ماذا تريدان منى ؟

الشاب : أنا دكتور إيهاب وهذه نوال الممرضة ، جئنا اليوم للاطمئنان على صحتك
رامى : ولكنى الآن فى فترة العزل ، وأخشى عليكم من العدوى

دكتور إيهاب : لا عليك فنحن نعلم ذلك لا تقلق ، فقط اسمح لنا بالدخول ، فلا نأخذ من وقتك كثيراً .

دخلا الاثنان معاً ، وأخرجت الممرضة جهاز قياس الأوكسجين من أغراضها ، حيث قامت بالقياس ووجدت أن الأوكسجين جيد . ثم سألت رامى : هل تشعر بأعراض أو أى آلام أخرى ؟

رامى : لا

دكتور إيهاب : هل أنت بخير ؟

رامى : الحمد الله

دكتور إيهاب فى تعجب : ولكن لماذا وجهك شاحب اللون هكذا ؟ هل تأكل جيداً ؟
رامى : فى الحقيقة أفقد شهيتى للطعام

الدكتور : حاول أن تأكل جيداً ، لأن بروتكول العلاج ثقيل ، ويحتاج إلى تغذية جيدة

رامى : حسناً سأحاول

الدكتور : هل تشعر بآلام فى معدتك ؟

رامى : نعم أشعر بذلك كثيراً

الدكتور : وماذا عن لون البراز ؟

رامى : أعتقد أن لونه أسود .

الدكتور : إذن لابد من إجراء بعض التحاليل فى المستشفى للاطمئنان على صحتك ، لأن البراز الأسود يعنى أن هناك دماء قد تنزف من معدتك .

وهذا بالطبع أمر خطير ، لا ينبغى السكوت عليه ، أو الإهمال فيه إن الآلام التى قد تشعر بها هى نتيجة لهذا السبب .

رامى : حسناً سأذهب غداً إلى المستشفى بإذن الله .

الدكتور : لا تتأخر عن غد ، حتى لا يتطور الأمر أكثر من ذلك .

رامى : إن شاء الله لا يوجد تأخير .

الدكتور : فرصة سعيدة ، وأتمنى لك الشفاء العاجل بإذن الله ، مع السلامة .

فى اليوم التالى بعد إجراء التحاليل والأشعة المقطعية ، قالت الطبيبة لرامى إن الرئة يوجد بها التهابات حادة ، بينما هناك التهابات وقرحة فى جدار المعدة ، نتيجة لكثرة الأدوية التى كنت تتعاطاها دون تأمين بدواء للمعدة .

قالت الطبيبة : إن علاج القرحة يستغرق حوالى ثلاثة أشهر ، وأنك ممنوع من معظم الأكلات باستثناء أكل اللحوم مسلوقة فقط . عاد رامى إلى المنزل ، وبعد مرور حوالى أسبوع بدأ يشعر بنفس الأعراض مرة أخرى ، وأخبر أخاه بذلك ، فذهب به إلى المستشفى ليتفاجىء أن معدل الأوكسجين نقص إلى ستين بالمائة .

تم حجز رامى فى المستشفى ومكث فيها حوالى ثلاثة أيام ، خلالها تم عمل مسحة له ، فكانت النتيجة سلبية والحمد الله ، فشخصت حالته بأعراض ما بعد كرونا . نصحه أحد الأطباء بشراء أو استئجار مولد أوكسجين ، لأن الأوكسجين معرض للانخفاض لديه فى أى لحظة دون سابق إنذار . وبفضل الله تم الحصول على واحد ، حيث كان يستخدمه رامى بدلاً من الذهاب للمستشفى لتناول جلسة الأوكسجين . أو اضطراره فى الجلوس بالمستشفى لمدة أيام حتى يتم رفع مستوى الأوكسجين ، ذهب رامى لدكتور الصدر الذى أخبره بأن الرئة بها معدل التهابات حادة ونسبة

تليف ، وأن علاجها سيستغرق فترة طويلة ، وعليه أن يجلس تحت جهاز الأوكسجين لحين معالجة هذه الالتهابات .....

وبينما كان جالساً تحت جهاز الأوكسجين انتابه سؤال جاء على خاطره فجأة ...! ترى ما هو أكثر شيء هام فى هذه الحياة ؟

أخذ يفكر تفكيراً عميقاً ، ولكنه للأسف لم يتوصل لأية إجابة ....!

فأدرك وقتها أن هذه الحياة لا تستحق الصراع على السلطة أو المنصب أو المال ، فقط أن يمتلك الإنسان صحته وراحة باله ، فهذا أعظم شيء فى كل الوجود .....

ظل رامى تحت مولد الأوكسجين لأكثر من ثلاثة أشهر ، كان خلالها مقيماً بالمنزل لا يستطيع الحراك ، فقط بالكاد يذهب إلى المرحاض لقضاء حاجته ، وعندما كان ينزع قناع الأوكسجين من على وجهه ، كان يصرخ من شدة الاختناق والألم من صدره . مرت الأيام ببطء شديد عليه ، وبدأت أحواله الصحية تتحسن قليلاً ، حيث استطاع أخيراً ترك جهاز الأوكسجين ، إلا أنه كان يشعر بهبوط حاد ونهجان شديد ، وهذا كان نتيجة طبيعية لما حدث لرئته وما أصابها من ضرر وتلف .....

استمر رامى على تناول أدوية الرئة لأكثر من حوالى سنة ، وكانت صحته تتحسن ببطء ، خلال هذه الفترة تم عمل لقاح مضاد لفيرس كرونا المستجد (كوفيد ١٩) من قبل شركة صينية تدعى (سينوفارم) حيث تم تجريبه على الأطباء أولا ، وذلك بسبب حكم مهنتهم فهم أكثر الناس عرضة للإصابة بالفيرس ، لأنهم يخالطون المرضى والمصابين . ثم عادت شركة أخرى ولكنها كانت هذه المرة بريطانية تسمى (أسترازينكا) حيث تعاونت مع جامعة أكسفورد وطرحت نوعاً آخر من اللقاح ، حيث أثبت فاعليته أكثر من النوع الصيني ، وبعد عدة أشهر فقط أصبح النوعان من اللقاح متوفرين بالحكومة المصرية ، حيث يتقدم المواطن بطلب على موقع وزارة الصحة لأخذ اللقاح . كما تم إصدار قانون إجبارى من قبل السلطات بضرورة أخذ اللقاح فى حالة السفر إلى الخارج . كما تم عمل حجر صحى للعائدين من خارج البلاد أيضاً .

ثم جاءت بعد ذلك موجة ثالثة وأخرى رابعة من الفيرس ، ومات الكثير من أحبائنا وأصدقائنا ومعارفنا الكرام ، ومازال الفيرس والوباء موجوداً لم يتخلص منه العالم حتى الآن .

مشكلة الفيرس تكمن فى أنه سلالة متحورة ، بمعنى أنها تعيد تشكيل نفسها وبنيتها ، وبذلك فمن الممكن إصابة الإنسان به لعدة مرات ، فهو كفيرس الإنفلونزا يغير شكله

باستمرار وبالتالى لا يستطيع الجسم التعرف عليه ، مع الفارق أنه قاتل ومميت . كما أن اللقاح سواء كان من النوع الصينى أو الأمريكى لا يمنع الإصابة بالفيرس ، وإنما قد يعمل على آلية تخفيف أعراض الإصابة بالمرض .

راح جراء هذا الوباء ضحايا كثيرون ، فملايين من الناس ماتوا على مستوى العالم ، خصوصاً فى البلاد الأوربية والصينية ، وحقيقة أن هذا ليس أول وباء تمر به البشرية عبر عصورها ، فتاريخ البشرية ذكر لنا بعض الأوبئة المدمرة كالطاعون والكوليرا ، إلا أن فيرس كرونا اشتهر جدًّا، ربما بسبب سرعة إنتشاره وتحوره المستمر ، أو بسبب كثرة الإعلانات والميديا .

" النهاية "

" نحن لا نعلم المستقبل ولا ندرك ما تخبئه لنا الأيام ، فإذا كنت فى مرض فلا تيأس من رحمة الله فى الشفاء ، وإذا كنت فى صحة فلا تأمن من المرض . تعامل مع الغد كغريب لا تعرفه " .

أدرك رامى أنه لولا المرض لافترست الصحة أجمل نوازع الرحمة فى الإنسان . وأن أشد من مرض البدن مرض القلب ....

فتجربة المرض جعلت رامى يرى الحياة من منظور آخر . فكل شىء أصبح مختلفاً بالنسبة له ....

فالمرض ليس غضباً أو عقاباً وانتقاماً من الله كما كان يعتقد ، بل هو منحة إلهية تُعلي من شأن الإنسان . فمن أحبه الله أدبه بالمرض ، لأجل أن يرق قلبه ويرجع إليه ، فيتحنن عليه الخالق ويشفيه .

فلحظة المرض هى لحظة التوبة القوية ، وليست لحظة الضعف كما كان يظن ، ولا يصح أن نذكر الله فى أيام مرضنا ، وننسى أن نشكره فى سنين صحتنا ....

فإذا كان هناك ألم فيوجد خلفه باب من السعادة ، فقط علينا أن نصبر ونتأمل فى حكمة الخالق . فلولا الألم ما عرفنا طعم الراحة ، ولولا المرض ما كنا استوعبنا قيمة هذه الصحة . فهى حقاً تاج على رؤس الأصحاء لا يشعر به إلا المرضى .

أدعو الله أن يشفى جميع مرضانا ، وأن يرفع تلك الغمة وهذا الوباء عن كل العالم . آمين .